الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٨٥ – ١٨ فبراير سنة ١٩٣٥ – السنة الثالثة

3 me Année, No. 85. | Lundi-18-2-1935

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٣ — ١٨ فبراير سنة ١٩٣٥ » السـنة الثالثة

فهرس العـــدد

الملك على ...



تلقيت نعى الملك النبيل على بن الحسين كما أتلقى نعى قريب ؛ فقد كان رضوان الله عليه مثال الفطرة العربية النقية : يقبل على زائره بأنسه ، ويمكن لجليسه من نفسه ، ويزيل الفوارق بين محدثه وبين شخصه ، حتى يصدر عنه الوارد عليه وفى ذهنه صورة من جلاله لا تحول ، وفى قلبه عاطفة من حبه لا تزول ، وفى نفسه أثر من ذاته لا يعفو . لا يُلقى فى روعك حين تلقاه طموح الزعيم ، ولا جفاء القائد ، ولا دهاء السياسى ، ولا سورة المَلِك ، وإنما تجد فى خلائقه فوحة المجد ، وتقرأ فى ملامحه عنوان الطيبة ، وتعرف فى حديثه لهجة السيادة ، وتذكر فى نبرات صوته ولحظات عينه ولفتات ذهنه ذلك الروح القوى الذى انبثّ فى مَوَات الوجود من بنى هاشم !

٤٠٥١٦

نعى الناعى فيصلاً فقال الناس بطلٌ من أبطال العالم قَضى ، ونعى الناعى علياً فقال العرب سيد من سادات العروبة خلا ؛ لأن فيصلاً حكم فى شروق مُلك عائد ، فكان عزمة لا تسعها قدرة ، وفكرة لا يحصرها أفق ، وطموحاً لا يحده غاية ؛ ولأن علياً حكم فى غروب مُلك بائد ، فكان أمراً لا يمضيه سلاح ، وأملا لا ينهضه جناح ، وصلاحاً لا تؤاتيه فرصة ؛ ثم كان مصير الرجلين مصير خلقين مختلفين : خلق اتسع لخُدَع السياسة ، وشُبَه الحكم ، وأهواء النفوس ، وخلق انحصر بين حدود الشرف الموروث ، وسنن الدين المتبع ، وتقاليد العرب المحتومة

***

كان الملك على وهو أمير المدينة أو ولى العهد أو خليفة الحسين ، مثل السيد الكريم والأمير السمح والملك المؤمَّل ، ولكن موجة (الاخوان) كانت قد دفعت بحطام الحسين إلى شواطئ جدة ، فلم يستطع الملك الجديد أن يستمسك به فى مهب الرياح الهوج ومضطرب الموج الثائر ، فانتزع من تاجه المقدس مفاتيح الحرمين ثم وضعهما فى يد الفاتح ونجا على (الرقمتين)[1] فى ضباب من اليأس لا يَشِعُّ فى جنباته أمل

نزل الملك الغريب سواد العراق نزول الكريم على الكريم فتلقاه بوده ، وصفَّق له من ورده ، وبوأه من زعامته المكان الأول بعد فيصل . فكان فى السياسة العراقية برهان الله فى يقظة الشهوة ، وصوت العدل فى طغيان الهوى ، وهَدْى المشورة فى ضلال الرأى ، ورسول الخير فى أزمة الحاجة . وكان قصره القائم بالكرَّادة على الشاطئ الأيمن من دجلة بلاطاً للجلالة الحائرة بين الحجاز والعراق وسورية ، تُقضى بين أبهائه الأمور الجسام ، وترف على أفنائه الآمال الباسمة . ولكن حياة بغداد الدافقة بالنعيم الغارقة فى اللذة ، لم تستطع أن تُنسى الملك الحزين عرشه الصخرى فى الوادى الجديب ؛ فكان لا يفتأ يحن الى مُلكه المغصوب حنيناً شعرياً صامتاً يذيب الكُلَى ويستوقد الجوانح ، إلا أن أثره لا يبين تحت سمة الملك إلا لمن دخل فى أمره ووقف على سره

كنت كثيراً ما أقضى أصيل اليوم فى حضرته ، وكان (مفتى بغداد) لا ينقطع عن مجلسه فى هذه الساعة ؛ وكان للملك رحمه الله عطف علىَّ منشؤه فيما أظن حبه للأدب ، وميله الى مصر ، وأنسه بالغريب . فهو يحب أن يناقلنى الحديث ، ولكن (المفتى) سامحه الله رجل يرى من حق العالم أن يقول فى كل شىء وأن يجيب عن كل شىء ، وهو لا ينطق إلا ببيت من الشعر أو أثر من الحديث أو آية من القرآن ؛ أما ارتباط ما يقول بما يسمع فذلك ما كنا نعجز دائماً عن فهمه . كان الملك يبدأ الكلام فلا يكاد يمضى فيه حتى يقطعه عليه بحكاية عرضية أو مسألة فقهية ! فأرفع طرفى اليه لعل عزة الملك تشع فى عينه أو تثور فى وجهه ، فلا أجده إلا باسما للمتكلم ، مصغياً كالمتعلم ، هادئاً كالشعاع الشاحب فى شفق الخريف ! على أنه كان يصحح للشيخ ما يَقْمِشُ من الشعر وينتف من الأمثال ، ويتخذ ذلك مادة للحديث وموضوعاً للمشاركة ، فيسفر قوله عن ذوق صاف وبصيرة نافذة . ولا أنسى ماحييت استشهاده فى بعض الكلام على قلب الميم باء فى قول بعض العرب بكة فى مكة ، بالمثل المعروف : (تمخض الجبل فولد فأراً) مرجحا أن الجبل هو الجمل فى لحن هذه القبيلة

لذلك كان إذا شاء الحديث صفواً من المقاطعة واللغو أمرنى فمثلت بين يديه فى ساعة بعينها ، فيفضى إلىَّ بطرَف من ماضى حياته ، أو يملى علىَّ بعضاً من مذكراته . وقد لا يكون من المناسب اليوم — وأنا فى موقف الرثاء والعزاء والأسى — أن أثبت فى هذا المقام شيئاً من ذلك

ولكنه كان يلهج دائما بمصر ، ويرصد كوكب آماله فى مصر ... ويحاول أن يقنع المصريين الذين خاصموه فى سبيل الترك أن ثورتهم على الخلافة كانت بالحق وللحق ، وأن أباه لم يأل الترك نصحاً ألا يطأطئوا إشراف العرب ، وألا يغمزوا نخوة العرب ، وأن يعدلوا عن سياسة الجهل ، ويكفوا عن جرائم القتل ، فاستغشوا الناصح وذهبوا بأنفسهم ممعنين فى الضلالة

وللفقيد العظيم آراء حصيفة فى رجال الثورة وساسة العراق ووحدة العرب ، أرجو أن تتاح لتسجيلها المناسبة إنصافاً لهذا الرجل الذى أُخرج من دياره عنوة ، وكابد أكلاف المُلك من غير ثروة ، حتى عاد كالطائر المهيض أو المَلَك الهابط ، يختنق فى مجثمه وبصره فى الفضاء ، ويلتصق بالأرض وروحه فى السماء !

احمد حسن الزيات

(١) اسم الباخرة التى أقلته من جدة

زوجـــة إمام

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

جلس جماعةُ أصحاب الحديث في مسجد الكوفة، يَنتظرون قُدومَ شيخهم الامام «أبي محمد سليمان الأعمش»(١) ليسمعوا منه الحديث، فأبطأ عليهم؛ فقال منهم قائل: هلمّوا نتحدثْ عن الشيخ فنكونَ معه وليس معنا. فقال أبو معاوية الضرير: إلى أن يكونَ معنا ولسنا معه.! فخطرت ابتسامةٌ ضعيفةٌ تهتز على أفواه الجماعة لم تبلغ الضحك، ومرّت لم تُسمَع وكأنها لم تُرَ، وانطلقتْ من المباح المعْفُوّ عنه. ولكنْ أكبرَها أبو عتّاب منصورُ بنُ المُعْتَمِر فقال: ويلك يا أبا معاوية! أتتندّرُ بالشيخ وهو منذُ الستين سنةً لم تَفُتْه التكبيرةُ الأولى في هذا المسجد، وعلى أنه مُحدّث الكوفة وعالمُها، وأقرأ الناسِ لكتاب الله، وأعلمُهم بالفرائض، وما عَرفَت الكوفةُ أعبدَ منه ولا أفقهَ في العبادة؟

فقال محمدبن جُحادة(٢): أنت يا أبا عتّاب، رجلٌ وحدك، تُواصِلُ الصومَ منذ أربعين سنة، فقد يَبِسْتَ على الدهر وأصبح الدهر جائعاً منك، وما بَرِحتَ تبكي من خشية الله، كأنما اطّلعتَ على سَواء الجحيم، ورأيت الناسَ يَتَواقَعُون فيها وهي لهبٌ أحمرُ يلتفُّ على لهب أحمر، تحت دخان أسودَ يتضرّبُ في دخان أسود، يَتَغامَسُ الانسانُ فيها وهي مِلءُ السموات، فما يكون إلا كالذُّبابة أوقدوا لها جبلاً ممتداً من النار، يَنْطادُ بين الأرض والسماء، وقد ملأ ما بينهما جمراً وشُعلاً وحمماً ودخاناً، حتى لتهاربُ السُّحُبُ في أعلى السماء من حرّه، وهو على هوْله وجسامته لحرْقِ ذبابةٍ لاغيرها، بَيْدَ أنها ذبابةٌ تَحْترِقُ أبداً ولاتموتُ أبداً، فلا تزالُ ولايزال الجبل!

فصاح أبو معاوية الضرير: ويحك يا محمد! دَعِ الرجل وشأنه؛ إن لله عباداً متاعهم مما لا نعرف، كأنهم يأكلون ويشربون في النوم، فحياتُهم من وراء حياتنا، وأبو عتّاب في دنيانا هذه ليس هو الرجلَ الذي اسمهُ «منصور» ولكنه العملُ الذي يعمله «منصور». هل أتاكم خبر قارئ المدينة «أبي جعفر الزاهد»؟ قال الجماعة: ما خبره يا أبا معاوية؟ قال: لقد تُوُفّي من قريب، فرُئي بعدموته على ظهر الكعبة؛ وسترون أبا عتاب ـ إذا مات ـ على منارة هذا المسجد! فصاح أبو عتاب: تَحَلَّلْ يا أبا معاوية؛ أما حفظت خبرا بن مسعود: «كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام رجل، فوقع فيه رجل من بعده؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تَحَلَّلْ» قال: مِمّ أتحلّلُ؟ ما أكلتُ لحماً؟ قال: «إنك أكلتَ لحم أخيك!»

فتقلْقل الضرير في مجلسه، وتَنحْنحَ، وهمهم أصواتاً بينه وبين نفسه، وأحسّ الجماعةُ شأنه وقد عرفوا أن له شراً مُبصرا كالذي كان فيه من المزْح والدُّعابة، وشراً أعمى هذه بوادرُه، فاستلب ابنُ جحادة الحديثَ مما بينهما وقال: يا أبا معاوية، أنت شيخُنا وبركتُنا وحافظُنا، وأقربُنا إلى الامام وأمسُّنا به؛ فحدثنا حديثَ الشيخ كيف صنع في ردّه على هشام بن عبد الملك(١)، وما كان بينك وبين الشيخ في ذلك؛ فان هذا مما انفردتَ أنت به دون الناس جميعاً، إذ لم يسمعه غير أذنيك، فلم يحفظه غيرك وغير الملائكة

فأسفر وجهُ أبي معاوية وسُرّيَ عنه واهتزّ عطفاه وأقبل عليهم بعفو القادر.... وأنشأ يحدّثهم قال:

إن هِشاماً ـ قاتله الله ـ بعث إلى الشيخ: أنِ اكتبْ لي مناقبَ عثمانَ ومساويءَ عليّ. فلما قرأ كتابهَ كانت داجنةٌ إلى جانبه، فأخذ القرطاس وألقمَه الشاة فلاكتْه حتى ذهب في جوفها، ثم قال لرسول الخليفة: قل له: هـذا جوابك! فخشي الرسول أن يرجع خائباً فيقتله هشام، فما زال يتحمّلُ بنا، فقلنا: يا أبا محمد، نجّه من القتل. فلما ألححنا عليه كتب: «بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعدُ يا أمير المؤمنين، فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقبُ أهل الأرض ما نفعتْك، ولو كانت لعليٍّ رضي الله عنه مساويءُ أهل الأرض ما ضرّتك؛ فعليك بخُوَيْصةِ نفسك، والسلام.»

فلما فصل الرسول قال لي الشيخ: إنه كان في خُراسانَ

(١) ولد هذا الامام العظيم سنة ٦١ للهجرة، وتوفي سنة ١٤٨

(٢) الجحادة هي القرارة المتلئة، فكانت أمه تشبه بها

(١) بويع هشام سنة ١٠٥ للهجرة، وتوفي سنة ١٢٥

مُحدّث اسمه «الضحّاكُ بن مُزاحم الهلالي» وكان فقيهَ مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبيّ يتعلمون؛ فكان هذا الرجلُ إذا تعب ركب حماراً ودار به في المكتب عليهم، فيكون إقبالُ الحمار على الصبيّ همّاً وإدبارُه عنه سروراً. وما أرى الشيطان إلا قد تعب في مكتبه وأعيا، فركب أميرَ المؤمنين.... ليدور علينا نحن يسألنا: ماذا حفظنا من مساوىء عليّ؟

قلت: فلماذا ألقمتَ كتابه الشاة؟ ولو غسلته أو أحرقته كان أفهمَ له وكان هذا أشبهَ بك. فقال: ويحك يا أبله! لقد شابت البلاهةُ في عارضيك. إن هشاما سيتقطّع منها غيظاً، فما يَخفى عنه رسوله أني أطعمتُ كتابه الشاة، وما يُخفى عنه دَهاؤُه أن الشاة ستَبْعَرُه من بَعْد...!

قلت: أفلا تخشى أمير المؤمنين؟

قال: ويحك! هذا الأحولُ عندك أمير المؤمنين؟ أعَما ولدته أمُّه من عبد الملك؟ فهَبها ولدته من حائكٍ أو حجّام! إن إمارةَ المؤمنين يا أبا معاوية، هي ارتفاعُ نفس من النفوس العظيمة إلى أثَر النبوّة، كأنّ القرآنَ عَرَضَ المؤمنين جميعاً ثم رضي منهم رجلاً للزمن الذي هو فيه، ومتى أُصيبَ هذا الرجلُ القرآنيُّ فذاك وارثُ النبيّ في أمته وخليفتُه عليها، وهو يومئذ أمير المؤمنين، لا من إمارة الملك والترف، بل من إمارة الشرع والتدبير والعمل والسياسة

هذا الأحول الذي التفّ كدودة الحرير في الحرير، وأقبل على الخيل لا للجهاد والحرب، ولكن للهو والحلْبة، حتى اجتمع له من جياد الخيل أربعة آلاف فرس لم يجتمع مثلُها لأحد في جاهليةٍ ولا إسلام، وعَمِلَ الخزّ وقُطُفَ الخزّ، واستجاد الفرش والكُسوة، وبالغَ في ذلك وأنفقَ فيه النفقات الواسعة، وأفسد الرجولة بالنعيم والترف حتى سالك الناسُ في ذلك سُنَّتَه فأقبلوا بأنفسهم على لهو أنفسهم، وصنعوا الخير صنعةً جديدة بصرفه إلى حظوظهم، وتركوا الشر على ماهو في الناس، فزادوا الشر وأفسدوا الخير، ولم يَعُد الفقراءُ والمساكينُ عندهم هم الفقراءَ والمساكين من الناس، بل بطونهم وشهواتهم...!

ولقد كان الرجلُ من أغنياء المسلمين يقتصدُ في حظ نفسه ليَسعَ برّه مائة أو مائتين أو أكثر من اخوانه وذوي حاجته، فعادِ هذا الغنيُّ يتّسعُ لنفسه ثم يتسع، حتى لا يكفيه أن يأكلَ رزقه مائة أو مائتين أو أكثر!

إن هذا الاسلامَ يجعل أحسنَ المسرّات أحسنَها في بذلها للمحتاجين، لا في أخذها والاستئثارِ بها، فهي لا تضيع على صاحبها إلا لتكون له عند الله، وكأن الفقر والحاجةَ والمسكنةَ والانفاق في سبيل الله ـ كأن هذه أرضون يُغرس فيها الذهبُ والفضة غرساً لا يُؤْتى ثمرَه إلا في اليوم الذي ينقلب فيه أغنى الأغنياء على الأرض وإنه لأفقر الناس إلى درهمٍ من رحمة الله وإلى ما دون الدرهم؛ فيقال له حينئذ: خُذْ من ثمار عملك، وخُذْ ملءَ يديك!

والسلطانُ في الاسلام هو الشرع مَرْئيّاً يُتابعهُ الناس، متكلما يفهمه الناس، آمراً ناهياً يطيعه الناس. ولقد رأى المسلمون هذا الأحول، وتابعوه وسمعوا له وأطاعوا؛ فمنعوا ما في أيديهم، فانقطع الرِّفْد، وقلَّ الخير، وشحَّتْ الأنفس، وأصبح خيرُهم خيرَهم لبطنه وشهواته، وصار الزمانُ أشبهَ بناسِه، والناسُ أشبهَ بمَلِكِهم، وملكُهم في شهواته «فقيرُ المؤمنين» لا أميرُ المؤمنين!

إن هذه الامارةَ يا أبا معاوية، إنما تكون في قرب الشبه بين النبيّ ومن يختاره المؤمنون للبَيْعة. وللنبيّ جهتان: إحداهما إلى ربه، وهذه لا يطمع أحدٌ أن يبلغ مَبلغَه فيها؛ والأخرى إلى الناس، وهذه هي التي يُقاس عليها. وهي كلها رِفقٌ ورحمةٌ وعملٌ وتدبير وحياطة وقوة، الى غيرها مما يقوم به أمرُ الناس؛ وهي حقوقٌ وتَبِعاتٌ ثقيلة تنصرف بصاحبها عن حظ نفسه، وبهذا الانصراف تجذب الناس الى صاحبها. فامارة المؤمنين هي بقاء مادّة النور النبويّ في المصباح الذي يضيء للاسلام بامداده بالقدْر بعد القدر من هذه النفوس المضيئة. فان صَلُحَ الترابُ أو الماء مكان الزيت في الاستضاءة صَلُح هشامٌ وأمثاله لامارة المؤمنين!

ويلٌ للمسلمين حين ينظرون فيجدون السلطانَ عليهم بينه وبين النبي مثلُ ما بين دِينين مختلفين. ويلٌ يومئذ للمسلمين! ويلٌ يومئذ للمسلمين!

***

فلما أتمّ الضريرُ حديثَه قال ابن جحادة: إن شيخنا على هذا الجدِّ ليمزح، وسأحدّثكم غير حديث أبي معاوية فقد رأيتُ الدنيا كأنما عرفت الشيخ ووقفت على حقيقته السماوية فقالت له: اضحكْ منيّ ومن أهلي. ولكنَّ وقاره ودينه ارتفعا به أن يضحك بفمه ضَحِكَ الجهلاء والفارغين، فضحك بالكلمة بعد الكلمة من نوادره

لقد كنت عنده في مَرْضَته، فعاده «أبو حنيفة» صاحبُ الرأي، وهو جبلُ عِلمٍ شامخ، فطَوَّلَ القعودَ مما يُحبُّه ويأنس به، إذ كانت الأرواحُ لا تعرف مع أحبابها زمناً يطول أو يقصر. فلما أراد القيام قال له: ما كأني إلا ثَقُلْتُ عليك. فقال الشيخ: إنك لثقيلٌ عليّ وأنتَ في بيتك ... ! وضحك أبو حنيفة كأنه طفل يُلاغيه أبوه بكلمةٍ ليس فيها معناها، أو أبٌ داعَبه طفلُه بكلمة فيها غيرُ معناها

وجاءه في الغَداة قومٌ يعودونه، فلما أطالوا الجلوسَ عنده أخذ الشيخ وسادته وقام منصرفاً، وقال لهم: قد شَفَى الله مريضكم ... !

فقال الضرير: تلك رَوْحَةٌ من هواء دُنْبا وَنْد (١) فان أبا الشيخ كان من تلك الجبال، وقدم إلى الكوفة وأمُّه حاملٌ؛ فوُلِدَ هنا؛ فكأن في دمه ذلك النسيم تهبُّ منه النفحة بعد النفحة في مثل هذه الكلمات المُتنسِّمة؛ ثم هي روحه الظريفة الطيّبة تَلْمَسُ بعضَ كلامه أحياناً، كما تلمسُ روحُ الشاعر بعضَ كلام الشاعر؛ وما رأيت أدقَّ النوادر الساخرة وأبلغَها وأعجبَها يجيء إلا من ذوي الأرواح الشاعرة الكبيرة البعيدة الغَوْر، كأنما تأتي النادرة من رؤية النفس حقيقتين في الشيء الواحد. والامامُ في ذلك لا يسخر من أحد، إلا إذا كانت الأرض حين تُخرج الثمرةَ الحلوة تَسْخَر بها من الثمرة المرة

والعجيب أن النادرة البارعة التي لا تتفق إلا لأقوى الأرواح، يتفق مثلها لأضعف الأرواح؛ كأنها تَسْخَر من الناس كما يسخرون بها. فهذا «أبو حَسَن» مُعلِّم الكُتّاب، جاءه غلامان من صِبْيته قد تعلق أحدهما بالآخر؛ فقال: يا مُعلِّم، هذا عَضَّ أذني. فقال الآخر: ما عضضتُها، وإنما هو عضَّ أُذنَ نفسه ... ؛ فقال المعلم: وتمكُرُ بي أيضاً يا ابن الخبيثة، أهو جملٌ طويلُ العُنق حتى ينالَ أذنَ نفسِه فيعضها ... !

* * *

وطلع الشيخ عليهم وكأنما قرأ نفسَ أبي معاوية في وجهه المتفتِّح. ومن عجائب الحكمة أن الذي يُلمح في عيني المبصر من خوالج نفسه يُلمح على وجه الضرير مُكبَّراً مجسَّماً. وكان الشيخ لا يأنس بأحدٍ أُنْسه بأبي معاوية، لذكائه وحفظه وضبْطه، ولمشاكلة الظَّرف الروحيّ بينهما؛ فقال له:

«فِيمَ كان أبو معاوية ؟»

ـ «كان أبو معاوية في الذي كان فيه !»

ـ «وما الذي كان فيه ؟»

ـ «هو ما تسأل عنه !»

ـ «فأجبْني عما أسأل عنه .»

ـ «قد أجبتُك !»

ـ «بماذا أجبتَ ؟»

ـ «بما سمعت !»

فتقبَّض وجهُ الشيخ وقال: «أههنا وهناك معاً؟ لو أن هذا من امرأةٍ غَضْبَى على زوجها لكان له معنى، بل لا معنى له ولا من امرأةٍ غضبى على زوجها. أَحسَبُ لولا أن في منزلي من هو أبغضُ إليَّ منكم ما خرجت؟» فقال الضرير: «يا أبا محمد، كأننا زوجاتُ العلم؛ فأيَّتُنا التي حَظيتْ وبَظيتْ ...»

فغطّى الجماعةُ أفواههم يضحكون، وتبسَّم الشيخ، ثم شرع يحدِّث فأفضى من خبر إلى خبر، وتسرَّح في الرواية حتى مرَّ به هذا الحديث:

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن هلاكَ الرجال طاعتُهم لنسائهم.»

قال الشيخ: كان الحديث بهذا اللفظ، ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: «هلاكُ الرجل طاعتُه لامرأته»؛ فإن هذا لا يستقيم؛ إذ يكون بعضُ النساء أحياناً أكمل من بعض الرجال، وأوفر عقلاً وأسدَّ رأياً، وقد تكون المرأةُ هي الرجلَ في الحقيقة عزماً وتدبيراً وقوَّةَ نفس، ويَتلَيَّنُ الرجل معها كأنه

(١) ناحية من رستاق الري في الجبال الثلجية وهي من بلاد العجم

امرأة . وكثير من النساء يكُنَّ نساءً بالحِلْية والشكل دون ما وراءها ، كأنما هُيّئْنَ رجالاً فى الأصل ثم خُلِقْنَ نساءً بعد ، لأحداث ما يريد الله أن يُحدِث بهنّ ، مما يكون فى مثل هذه العجيبة عملاً ذا حقيقتين فى الخير أو الشر

وإنما عَمَّ الحديثُ ليدل على أن الأصل فى هذه الدنيا أن تستقيم أمور التدبير بالرجال ؛ فان البأس والعقل يكونان فيهم خِلقةً وطبيعةً أكثر مما يكونان فى النساء ؛ كما أن الرقة والرحمة فى خلقة النساء وطبيعتهن أكثرُ مما هما فى الرجال ، فاذا غلبتْ طاعةُ النساء فى أمة من الأمم ، فتلك حياة معناها هلاك الرجال ، وليس المراد هلاكَ أنفسهم بل هلاكَ ماهم رجالٌ به . والحديدُ حديدٌ بقوته وصلابته ، والحجرُ حجر بشدّته واجتماعه ؛ فان ذاب الأولُ أو تفلّل ، وتناثر الآخر أو تفتّت ـ فذاك هلاكهما فى الحقيقة ، وهما بعدُ لا يزالان من الحجر والحديد

والمرأة ضعيفة بفطرتها وتركيبها ، وهى على ذلك تأبى أن تكون ضعيفةً أو تُقرّ بالضعف ، إلا إذا وجدت رُجلها الكامل ، رُجلَها الذى يكون معها بقوّته وعقله وفتنته لهاوحبها إياه ؛ كما يكون مثالٌ مع مثال . ضعْ مائة دينار بجانب عشرة دنانير ، ثم اترك للعشرة أن تتكلم وتَدّعى وتستطيل ؛ فقد تقول : إنها أكثر إشراقاً ، أو أظرفُ شكلاً ، أو أحسنُ وضعاً وتصفيفاً ؛ ولكن الكلمة المحرّمةَ هنا أن تزعم أنها أكبر قيمةً فى السوق . . . !

قال الشيخ : ومَن مِنَ النساء تصيبُ رجلَها الكاملَ أو القريبَ من كماله عندها ، أى كمالَ طبيعته بالقياس إلى طبيعتها ، كمالَ جسم مُفصّلٍ لجسم تفصيلَ الثوب الذى يلبسه ويختال فيه ؟ أما إن هذا من عمل الله وحده ؛ كما يَبسطُ الرزقَ لمن يشاء من عباده ويَقْدِر ، يبسط مثل ذلك للنساء فى رجالهن ويَقْدِر

فاذا لم تُصِب المرأة رجلَها القوىّ ـ وهو الأعمُّ الأغلب ـ لم تستطع أن تكون معه فى حقيقة ضعفها الجميل ، وعمِلَت على أن يكون الرجل هو الضعيف ، لتكون معه فى تزوير القوّة عليه وعلى حياته . وبهذا تخرج من حيّزها ، وما أول خروج النساء إلى الطرقات إلا هـذا المعنى ؛ فان كَثُر خروجهن فى الطريق وتسكّعُن ههنا وههنا فانما تلك صورة من فساد الطبيعة فيهن ومن إملاقها أيضاً . . . . .

قال الشيخ : وكأن فى الحديث الشريف إيماء الى أن من بعض الحق على النساء ينزلْن عن بعض الحق الذى لهن إبقاءً على نظام الأمة ، وتيسيراً للحياة فى مجراها ؛ كما ينزل الرجل عن حقه فى حياته كلهـا إذا حارب فى سبيل أمته ، إبقاءً عليها وتيسيراً لحياتها فى مجراها . فصبرُ المرأة على مثل هذه الحالة هو نفسُه جهادُها وحربها فى سبيل الأمة ، ولها عليه من ثواب الله مثلُ ما للرجل يُقتَل أو يُجرحُ فى جهاده

ألا وإن حياة بعض النساء مع بعض الرجال تكون أحياناً مثلَ القتل ، أو مثل الجَرْح ، وقد تكون مثل الموت صبراً على العذاب ! ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمُزَوَّجة يسألها عن حالها وطاعتها وصبرها مع رجلها : « فأين أنت منه ؟ » قالت ما آلُوه إلا ما عَجَزْتُ عنه ! قال : « فكيف أنتِ له ؟ فانه جَنّتُكِ ونارُكِ »

آه ! آه ! حتى زواجُ المرأة بالرجل هو فى معناه مُرورُ المرأة المسكينة فى دنيا أخرى الى موتٍ آخر ، ستُحاسب عنده بالجنة والنار ، فحسابها عنـد الله نوعان : ماذا صنعتِ بدنياكِ ونعيمها وبؤسها عليكِ ؛ ثم ماذا صـنعتِ بزوجك ونعيمه وبؤسه فيك ؟

وقد روينا أن امرأة جاءت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله ، إنى وافدةُ النساء اليك ؛ ثم ذكرتْ ماللرجال فى الجهاد من الأجر والغنيمة ؛ ثم قالت : فما لنا من ذلك ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « أبلِغى من لقيتِ من النساء أن طاعةً للزوج ، واعترافاً بحقّه ـ يعدِلُ ذلك ؛ وقليلٌ منكن من يفعله ! »

قال الشيخ : تأمّلوا واعجبوا من حكمة النبوّة ودقّتها وبلاغتها ؛ أيقالُ فى المرأة المُحِبّة لزوجها المفتتنة به المعجَبة بكماله : إنها أطاعته أو اعترفت بحقه ، أو ليس ذلك طبيعةَ الحب إذا كان حباً ؟ فلم يبق إذن إلا المعنى الآخر ، حين لا تصيب المرأةُ رُجلها المفصَّل لها ، بل رجلاً يُسمَّى زوجاً ، وهنا يظهر كرمُ المرأة الكريمة ، وهاهنا جهادُ المرأة وصبرُها ، وهاهنا بَذلُها لا أخذُها ؛ ومن كل ذلك هاهنا عملها لجنّتها أو نارها

فاذا لم يكن الرجل كاملاً بما فيه المرأة ، فلتُبقِه هى رجلاً بنزولها عن بعض حقها له ، وتركها الحياةَ تجرى فى مجراها ، وإيثارها الآخرةَ على الدنيا ، وقيامها بفريضة كمالها ورحمتها ،

فيبقى الرجل رجلاً فى عمله للدنيا ، ولا يُمسَخُ طبعه ولا ينتكس بها ولا يَذل ، فان هى بذأت وتسلطت وغلبت وصرَّفت الرجل فى يدها ، فأكثر مايظهر حينئذٍ فى أعمال الرجال من طاعتهم لنسائهم – إنما هو طيشُ ذلك العقل الصغير وجُرأته ، وأحياناً وقاحتُه ؛ وفى كل ذلك هلاك الرجولة ، وفى هلاك معانى الرجولة هلاكُ الأمة !

قال الشيخ : والقلوبُ فى الرجال ليست حقيقيةً أبدا ، بطبيعة أعمالهم فى الحياة وأمكنتهم منها ، ولكن القلب الحقيقى هو فى المرأة ، ولذا ينبغى أن يكون فيه السُّموُّ فوق كل شيء إلا واجب الرحمة ، ذلك الواجب الذى يتَّجه الى القوىّ فيكون حبّاً ، ويتجه الى الضعيف فيكون حناناً ورقّة ، ذلك الواجبُ هو اللطف ، ذلك اللطفُ هو الذى يُثبت أنها امرأة

* * *

قال أبو معاوية : وانفض المجلس ، ومنعنى الشيخ أن أقوم مع الناس ، وصرف قائدى ، فلما خلا وجهه قال : يا أبا معاوية ، قُم معى الى الدار ، قلتُ ما شأنُ فى الدار يا أبا محمد ؟ قال : إن (تلك) غاضبة على ، وقد ضاقت الحال بيني وبينها ، وأخشى أن تتباعد ، فأريدُ أن تصلح بيننا صلحا

قلت : فِمَّ غضبها ؟ قال : لا تسأل المرأة مِمَّ تغضب ، فكثيراً ما يكون هذا الغضب حركةً فى طباعها ، كما تكون جالسة وتريد أن تقوم فتقوم ، وتريد أن تمشى فتمشى !

قلت : يا أبا محمد ، هذا آخر أربع مرات(1) تغضب عليك غضب الطلاق ، فما يحبسُك عليها والنساء غيرها كثير

قال : ويحك يا رجل ! أبائعُ نساءٍ أنا ، أما علمتَ أن الذى يطلق امرأة لغير ضرورةٍ ملْجئةٍ ، هو كالذى يبيعها لمن لا يدرى كيف يكون معها وكيف تكون معه ، إن عمْرَ الزوجة لو كان رقبةً وضربت بسيف قاطع لكان هذا السيف هو الطلاق !

وهل تعيشُ المطلّقةُ إلا فى أيام ميتّة ، وهل قاتل أيامها إلا مطلقُها ؟

قال أبو معاوية : وقمنا الى الدار ، واستأذنت ودخلت على (تلك) . . . . ؟

(لها بقية) طنطا مصطفى صادق الرافعى

(1) هذا هو التعبير الصحيح لمثل قول الناس « هذه رابع مرة »

حكايتي مع بوبي

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

وقعت عيني عليها ، فلم أعد أرى سواها . وكنتُ أركب « الأمنيبوس » ففتحتُ الباب وإذا بها أمامى ! وفى حجرها كلب أبيض صغير غزير الشعر ، وإلى جانبها صاحب لى – جالس كالدمية ! فغضضتُ الطرف – أعني أنى حوَّلتُ عينى عنها إلى التمثال ، وكانت نظرتى واشية بالاعجاب والسرور ، فانقلبت نظرةَ حسدٍ وغيظ – ومقتٍ أيضاً ! ولكنى كتمتُ ذلك ، وأمسكت على ما بنفسى منه ، ولم أسمح له أن يطل من عينىّ ، لظنى أنها قد تكون زوجه أو أخته أو قريبته . وحيَّيته ، ولكنه كان تمثالاً مبنياً أو منحوتاً من الحجر ، لا إنساناً حياً من لحم ودم ، فمضيت عنه إلى آخر مقعد ، وقد زاد حقدى عليه وحسدى له . وجعلت أقول لنفسى – وأنا قاعد ، وبينى وبينهما صفَّان – إنها لا تمكن أن تكون زوجاً أو قريبة ، فما خلق مثلها ليشقى بزواج مثله أو يُبتلى بقرابته ، وأنه لا حق له فى زحامها على مقعدها ، وأن من سوء الأدب ألاّ يفسح لها

ورثيتُ لها ، وأشفقتُ عليها من برد هذا التمثال الجامد الذى لا ينبض فيه عِرقٌ ولا يطرف له جفن ، وهممتُ مرات أن أدعوه إلىّ ، ولكنى رددت نفسى عن ذلك ، مخافة أن تكون معه ، فان النساء – ككل شئ – حظوظ وأرزاق ، وقد سمعتُ وحفظتُ من أمثال عامتنا أن الله يشاء أحياناً أن يعطى الحلق لمن ليس له أُذن !

وبلغتُ « محطتى » فنزلت ، ومنحتُ السيارة ظهرى ، فقد شقَّ علىَّ أن أراها تمضى بهذه الفتاة . فلما آذنني صوتها – أعنى صوت السيارة – أنها بعدت عنى ، درت ، فاذا بالفتاة إلى جانبي وأطراف أصابعها على فمها ، وفى وجهها كل آيات الحيرة والاضطراب ، ولم أر الكلب ، فتلفتُ فبصرت به يعدو ويسابق ظله الصغير ، ولم أبصر صاحبى فى مكان قريب أو بعيد ، فلم يبق محل للتردد ، فخلعتُ معطفى ورميته بلا تفكير ، وذهبت أعدو وراء الكلب ، فأدركته بلا عناء ، فقد كان صغيراً وخطوه

متقارباً ، ورفعته عن الأرض ووقفت أمسح له شعره الناعم – لأستريح !

وسمعت صوتاً رخياً يقول لي : « أشكرك ! إن هذا منك غاية المروءة »

فدرت وقلت بسرعة : « العفو – أستغفر الله ! »

قالت الفتاة : « منتهى اللطف ولا شك ! »

فلم أدر ماذا أقول ، وكنت أنا أحمل الكلب ، وهي تحمل معطفي – كما تبينت فيما بعد – ولكني لم أكن أرى أو أدرك شيئاً ، سوى أن لساني قد انعقد ، وأني فقدت القدرة على الكلام

وعادت الفتاة تقول : « صحيح ، أنا متشكرة جداً »

فكان كل ما فتح الله به عليّ : « إني أحب الكلاب »

ولم أكن صادقاً في ذلك ، فما أحب الكلاب ولا أطيقها ، ، وما رأيت قط كلباً – ولو كان ميتاً – إلا ذهبت أفكر بسرعة في أقرب مستشفى للكَلَب !

وسمعتها تقول : « لا شك أنك تحبها ! وإلا لما جريتَ وراءه هكذا ! »

فقلت : « نعم . إني أحب . . . أحبها . . . هل تحبينها ؟ »

قالت : « نعم ، حباً جماً »

قلت : « أنا كذلك . أحبها حباً جماً »

قالت : « بعض الناس لا يحبونها »

قلت : « صحيح – أنا . . . مثلاً . . . أحبها . . . . أحبها كثيراً »

ثم كأنما انحلت عقدة لساني ، ونزلت عليه الفصاحة والبيان فقلت من غير أن أتلعثم أو أتأتىء أو أفأفىء :

« أحب الكلاب بأنواعها – القَلَطيّ والسلوقي والمالطي والأرمنتي والبول دوج والثعلبي ، وأحب هريرها ونباحهـا وهوهوتها ، وأحب لعبها وعبثها وعضها »

وخانني بياني فأمسكت . فقالت :

« يظهر أنك تحب الكلاب ! »

فقلت : « نعم ، أحب الكلاب . . . جداً »

قالت : « إن لها مزاياها »

قلت : « صحيح – إن للكلاب مزاياها – » وفتح الله عليّ فأضفت « وكذلك للقطط مزاياها »

فقالت : « صحيح – القطط أيضاً لها مزاياها »

قلت : « لا شك – ولكن القطط تختلف عن الكلاب »

قالت : « نعم تختلف – لقد لاحظتُ ذلك »

وكان ينبغي أن أجيب بشيء ، فقد اتسع الموضوع ولم يعد مقصوراً على الكلاب ، ولكنه لم يخطر لي كلام أقوله ، فعضضت لساني من الغيظ ، وسكت ، وسكتت هي أيضاً ، ووقفتُ أمسح للكلب شعره ، وبودي لو أخنقه ، فقد كبر في ظني أنه هو الذي جرّ عليّ هذه الحبسة التي أصابت لساني ، ثم رفعت عيني إلى الفتاة فرأيتها تنقل معطفي من ذراع إلى ذراع ، فأسرعت أقول :

« معذرة – لقد كنت ذاهلاً »

وتناولت المعطف ، فحملت عني كلبها وهي تقول :

« هو الذي أذهلك – إنك تحبه ، أليس كذلك ؟ »

فقلت : وأنا أتنهد – في سري – « أحبه ؟ آه ! نعم ، أحبها – أعني الكلاب ! »

قالت : « إنك . . . ؟ ؟ »

قلت : « إني ؟ »

قالت : « نعم ! إنك ... أعني ... إني لست أعرف لمن أنا مدينة بهذا الجميل ؟ »

قلت : « آه ! صحيح ! أعني . . . كلا . . . لا فضل ولا جميل . . . لا لا لا . . . لا شيء ! . وسخطتُ على نفسي جداً ، فقد كان واضحاً أنها تسألني عن اسمي وما إلى ذلك . فجاء جوابي كأني لا أرتاح إلى تعريفها شيئاً منه ، وأحر بهذا أن يصدمها ويفتّر ما بيننا »

ثم قالت : « ألا تتفضل معي قليلاً ؟ »

وأشارت إلى بيت ، فقلت :

« هذا مسكنك ؟ »

قالت : « نعم . تفضل ، فان أمي يسرها أن تشكر لك صنيعك ، وأظنها تحب بوبي أكثر مما تحبني »

وضحكت ، فقلت : « في وقت آخر .. لاموجب للشكر .. ما فعلت إلا ما يفعله أي إنسان »

وصافحتها وانصرفت مسرعاً ، وبودي أن أجرد من نفسي شخصاً أظل ألعنه وألكمه حتى أشتفي غيظي ، فما أذكر أني

كنت قط أسخف مني فى ذلك اليوم ، وإنى لثرثار فى العادة ، ولست أتهيب المرأة أو أجهل طبيعتها ، فمن أين جاءنى هذا البكم ؟ وماذا عسى أن تقول عني هذه الفتاة ؟ وكيف لم يخطر لى كلام إلا « إنى أحب الكلاب ؟؟ »

وآليت - من فرط سخطى على نفسى وخجلى من عيى وفهاهتى - أن أجنب السير فى هذا الطريق ، وحرصت على ذلك أشد الحرص ، ومضت أيام لا أذكر عددها ، ونسيت الحكاية ، وصرفتني عن الحياة مطالب الدنيا ومشاغل الحياة ، ثم اتفق لى أن ركبت « الامنيبوس » مرة أخرى فى هذا الطريق عينه ، مع صديق لى ، وكان قد دعانى الى العشاء ، فلما بلغت المكان هجمت عليّ الذكرى ، فانتفضت قائماً ، وقلت لصديقى :

« سألحق بك ، فامض أنت »

قال : « الى أين ؟ »

قلت : « زيارة وجيزه »

قال : « من ؟ »

قلت : « زيارة . . . ! ما سؤالك هذا ؟ »

قال : « أفى الأمر سر ؟ »

قلت : « لا يا سيدى . لاسر ولا شبهه ، سأزور كلباً »

قال : « كلب ؟ »

قلت : « نعم ، كلب ! وأى غرابة فى ذلك ؟ »

قال : « ولكنك تكره الكلاب ! ؟ »

قلت : « أكرهها ؟ من قال إنى أكرهها ؟ إنما أكره ما يستحق الكراهة من كل شىء »

فصاح بى وأنا أنزل : « ولكنك لاتعرف البيت »

فقلت : « بل أعرفه . . . لاتخف عليّ ! »

فصاح بى من النافذة : « بل لاتعرفه . . . . أنا واثق ، فاصعد »

فقلت بحماقة . « يا أخى أعرفه . . . هى دلتني عليه ! »

فقال : « هى ؟ »

فعضضت لسانى من الغيظ ، ومضيت عنه !

***

ودققت الجرس ، فخرجت لى خادمة وقالت : « نعم ! »

فحرت ماذا أقول ؟ وذكرت أنى لا أعرف اسم الفتاة ، ولا اسم أمها ، ووقفت متردداً ثم قلت :

« اسمى يا شاطرة : إن عندكم كلباً صغيراً جميلاً ، أبيض الشعر ، أليس كذلك ؟ »

فقالت بدهشة : « كلب ؟ تسأل عن كلب ؟ »

قلت : « نعم . . . اسمه . . . اسمه . . . آه ! تذكرت . . . اسمه بوبى . . . نعم بوبى »

قالت : « آه . . . بوبى . . . ماله ؟ »

قلت : « أ . . . إ . . . كيف صحته ؟ إن شاء الله يكون بخير ؟ »

فدارت اللعينة ، وقالت تخاطب من لا أرى :

« إنه رجل غريب يسأل عن صحة بوبى ! »

فبرزت لى سيدة ضخمة - ضخمة جداً - أضخم شىء رأيته فى حياتى ، حتى لقد احتجت أن أدور بعينى فى أنحاء جسمها المتباعدة ، لأحيط بها علماً ، وأقبلت على تسد الفضاء فى وجهى وقالت :

« من هذا ؟ »

قالت الخادمة : « لا أعلم . . . لم أره من قبل »

فسألت خادمتها - كأنها لا ترانى - وهل أنا إلا ذرة أو هباءة ؟ - : « ماذا يريد »

قالت الخادمة : « يريد أن يعرف كيف صحة بوبى ؟ »

فقالت : « ما شأنه به ! هل يعرفه ؟ »

فتدخلت فى الحوار وقلت : « نعم يا سيدتى ، لقد تشرفت بمعرفته يوم فر من سيدته وكاد يضيع أو يختنق »

فقالت : « آه ! » ! ولم تزد

قلت : « نعم ، وقد خطر لى أن أسأل عنه كيف حاله ؟ »

قالت : « بخير . . . أشكرك بالنيابة عنه »

قلت : « ألا يمكن أن أراه ؟ وأطمئن عليه ؟

قالت : « لا . . . لايمكن »

قلت : « أهو لا قدر الله . . . ؟ »

قالت : « خرج . . . »

قلت : « خرج ؟ يا سيدتى كيف تركينه يخرج وحده ؟ »

قالت : « لا . . . خرج مع إيلين . . . لاخوف عليه . . متشكرة . . . »

فلم أدر « إيلين » هذه من تكون ؟ الفتاة أم خادمة أخرى ، ولكني قلت أجازف وأمرى الى الله ، وسألتها :

« وكيف حالها ؟ بخير إن شاء الله ! »

قالت : « حالها ؟ من ؟ »

قلت : « المدموازيل إيلين ؟ »

قالت : « المدموازيل . . . ؟ »

قلت : « آه . . . بنتك . . . أليست بنتك ؟ »

فقالت : « بنتى ؟ عن أى شىء تتكلم ؟ »

فتشجعت وسألت : « أليس هذا بيت المدموازيل إيلين ؟ معذرة إذا كنت مخطئاً ! »

قالت : « بيت المدموازيل ايلين ؟ ماذا جرى لعقلك ؟ من أنت ؟ إنها خادمة هنا ! »

فأحسست أنه لم تبق لى قدرة على المضى فى هذا الحوار ، فاعتذرت لها مرة أخرى ، وفررت

* * *

وصرت فى الطريق ، فأخرجت المنديل ، وأقبلت على وجهى أمسح العرق المتصبب عنه فى الشتاء ، وإذا بالفتاة تقول بأرخم من صوتها الأول :

« سعيدة . . . هذا بوبى »

ومدت لى يديها به ، فلم أتناوله ، وتركته على كفيها وسألتها :

« هل أنت إيلين ؟ قولى بسرعة ! »

فقالت وهى متعجبة : « إيلين ؟ كلا . . . إنى . . . »

فقاطعتها : « لاتقولى شيئاً . . . . هذا حسبى . . . . يكفى أنك لست إيلين . »

قالت : « ولكنى لا أفهم . . . . »

قلت : « ستفهمين كل شىء ... بعد أن أتنفس وأشكر الله »

ثم قصصت عليها الحكاية ، فضحكت ، ولما سكنت الضجة ، واستطاعت أن تتكلم أخبرتنى أنى غلطت ، وأن هذا مسكن جيران ، وأن كلبهم كان قد ضاع ، فرده عليهم بعضهم ، وأن هذه السيدة الضخمة لابد أن تكون قد استرابت بى ، وشكت فى أمرى ، لأنها تعرف الذى أعاد الكلب ، ففهمتُ السبب فيما بدا منها من الجفوة ، ولماذا تركتنى واقفاً على عتبة الباب وأبت أن تدعونى الى الدخول

فقلت : « إذن ناولينى بوبى . . . . »

وحملته عنها وصعدت معها الى أمها . . .

وضحكنا كثيراً فى ذلك المساء ، ولا أحتاج أن أقول إنى نسيت صديقى وعشاءه . . .

إبراهيم عبد القادر المازنى

النزاع بين ايران والعراق

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان مما عرض على عصبة الأمم فى دورتها الأخيرة الخلاف بين إيران[١] والعراق على مسألة الحدود ؛ ولكن مجلس العصبة لم يشأ كعادته أن يبادر الى درس خلاف يخشى أن يحول تعقيده وخطورة العوامل والاتجاهات المتصلة به الى فشل العصبة فى بحثه باستقلال ونزاهة ؛ ولهذا آثر بعد بحث المسائل الشكلية أن يرجئه الى دورة أخرى عسى أن يوفق الفريقان المتنازعان الى تسويته بمفاوضات مباشرة ، فينجو المجلس بذلك من الحرج والتعرض الى فشل يزيد فى ضعف العصبة وانحلال هيبتها

ومما يبعث الى أشد الأسف أن ينشب مثل هذا الخلاف بين دولتين شرقيتين كايران والعراق تربطهما صلات تاريخية قديمة ترجع الى عصور وآماد بعيدة ، وتجمع بينهما مصالح مشتركة اقتصادية وسياسية وعسكرية ، ويضاعف هذا الأسف ألا تستطيع الدولتان الشقيقتان حسم هذا الخلاف بالتفاهم المباشر ، وأن تضطرا الى عرضه على هيئة دولية دلت سوابقها وأعمالها فى بحث المسائل الشرقية على أنها لاتملك بحثها دائماً بحرية ونزاهة ، وأنها تتأثر غالباً بالنفوذ الأقوى . وفى هذا الخلاف ، على رغم قيامه بين دولتين شرقيتين ، مايهم بعض الدول الغربية ذات المصالح والنفوذ

والخلاف الايرانى العراقى قديم يتناول علائق الدولتين منذ ظهور العراق فى الوجود كوحدة سياسية خاصة ، أعنى منذ خاتمة الحرب الكبرى ؛ وقد كان من نتائجه أن لبثت إيران مدى أعوام طويلة تصر على عدم الاعتراف بالعراق الجديدة ، ولم تعترف بها إلا فى سنة ١٩٢٩ نزولاً على سعى السياسة البريطانية . وإذا قلنا باضطراب العلائق بين إيران والعراق فى تلك الفترة ، فمعناه اضطراب العلائق بين إيران وبريطانيا العظمى التى كانت يومئذ تسيطر على أقدار العراق وتتولى توجيه علائقه الخارجية ،

---

(١) لم يبق لنا أن نستعمل بعد كلمة «فارس» بعد أن صدر قانون خاص باستبدالها بكلمة «إيران»

وقد كان يرجع أحياناً الى أسباب خارجة عن العراق ذاته، كالخلاف بين إيران وانكلترا على مسألة البحرين، وأحياناً الى أسباب تتعلق بالعراق مباشرة كالخلاف على الحدود، واقتحامها بين حين وآخر من بعض رعايا هذا الفريق أو ذاك، أو على بعض المسائل التجارية وغيرها. ولما حصل العراق على استقلاله بعقد المعاهدة العراقية الانكليزية فى صيف سنة ١٩٣٠ سعى الى التفاهم مع جارته، وانتهت جهود الفريقين فى ذلك السبيل الى شىء من النجاح، وقام المغفورله الملك فيصل بزيارة رسمية الى طهران، وكان من نتائجها أن زاد التقرب بين الدولتين وسويت بينهما مسائل كثيرة، ولكن الخلاف على الحدود بقى على حاله، والظاهر أن إيران كانت تنتظر لاثارته فرصة ملائمة

ويقع الخلاف الحاضر بين الدولتين على الحدود الايرانية العراقية مما يلى شط العرب فى الجهة الجنوبية الغربية بالنسبة لايران، والجنوبية الشرقية بالنسبة للعراق. ومعروف أن شط العرب هو الاسم الذى يطلق على المجرى المشترك الذى يندمج فيه دجلة والفرات قبل مصبهما فى الخليج الفارسى بنحو مائة ميل، وعليه تقع مدينة البصرة. وتبدأ الحدود الايرانية العراقية من الخليج الفارسى شرق شط العرب (بالنسبة لايران) متجهة نحو الشمال بحذاء شط العرب وعلى قيد بضعة أميال منه، ولا تتسع هذه الشقة الضيقة بين شط العرب والحدود الايرانية إلا عندما تحاذى البصرة تقريباً، وتستمر الحدود شمالا محاذية لنهر دجلة وتتسع تدريجياً حتى يصير بينها وبين بغداد نحو سبعين ميلاً. وموضع الخلاف الحالى من الحدود هو الجزء الذى يحاذى شط العرب شرقاً ويفصل بين إيران وشط العرب، فان حكومة إيران تطالب به وتقول إن الحدود الطبيعية لايران يجب أن تكون هى شط العرب، ويجب أن تضع إيران يدها على الضفة الأخرى من النهر لتستطيع أن تعمل على تأمين حقوقها فى حرية الملاحة فيه؛ ولكن العراق تعارض هذه الدعوى لأن الحدود الحالية بينها وبين إيران والتى تضع بمقتضاها يدها على شط العرب والشقة الواقعة بينه وبين الحدود الايرانية، إنما قررت باتفاق عقد بين فارس والدولة العثمانية سنة ١٩١٣ وقت أن كانت العراق جزءاً من تركيا، وقد تلقت العراق حدودها الحالية بمقتضى هذا الاتفاق، فهى لاتستطيع أن تتخلى عن شىء من أرضها والواقع أن هذه الشقة التى تطالب بها إيران ذات أهمية عسكرية واقتصادية خطيرة، واستيلاء إيران عليها يجعلها إلى جانب العراق سيدة الملاحة فى شط العرب، ويهدد مركز البصرة ثغر العراق ومعقله الجنوبى؛ وللبصرة أهمية عسكرية خاصة بالنسبة للدفاع عن العراق

أما حجة إيران فى المطالبة بهذه البقعة فهى أن الاتفاق الذى عقدته فى شأن الحدود مع الدولة العثمانية سنة ١٩١٣ باطل لأنه لم يعقد فى جو من الحرية، ولأنه لم يبرم لا فى تركيا ولا فى إيران، وأن دلالة بطلانه هو أن القسم الشمالى من الحدود الايرانية التركية القديمة، وهو الذى يفصل اليوم بين إيران والجمهورية التركية قد رسم وعدل باتفاق جديد بين الدولتين باعتبار أن التخطيط القديم باطل لايعول عليه؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان مقتضيات عملية ودولية توجب أن يكون شط العرب هو الحد الفاصل بين الدولتين؛ وتلقى إيران تبعة الخلاف على العراق، وتقول إنها لم يسعها حين التجأ العراق إلى عصبة الأمم إلا أن تقابلها أمام مجلس العصبة راجية أن تتمكن العصبة من بحث المسألة بما يحسم الخلاف ويضع الأمور فى نصابها؛ وهو مايدل على أن إيران لم تكن راغبة فى طرح الموضوع على عصبة الأمم (١)

ويلوح لنا أن الأسباب التى تستند إليها وجهة النظر الايرانية مما يصعب قبوله، لأن القول ببطلان معاهدة قائمة عقدت على أساس اتفاقات سابقة وقد نفذت نصوصها بالفعل، لايسوغ من الوجهة القانونية؛ ولو جاز أن تفسخ المعاهدات برأى فريق واحد من المتعاقدين على نحو ماتقدم إيران، لما بقى للمعاهدات الدولية أية قيمة؛ وأما كون الحدود الشمالية عدلت مع تركيا الجمهورية، فذلك يرجع إلى اتفاق الفريقين؛ وليس هنالك مايمنع أن يعقد مثل هذا الاتفاق بين إيران والعراق إذا ارتضت كل منهما عقده. ومشاكل الحدود تقوم فى الأغلب على اعتبارات قومية، كأن يكون سكان البقعة المطالب بضمها من نفس جنسية الأمة المطالبة، وأن يعربوا عن رغبتهم فى الانضمام إليها بصورة

(١) لخصنا وجهة النظر الايرانية طبقاً للبيان الذى أذاعه سعادة وزير إيران المفوض بمصر فى جريدة الأهرام بعددها الصادر فى ٣١ يناير

عملية ، فهل تستطيع إيران مثلاً أن تقول إن سكان الشــقة التى تطالب بها أو أن أغلبهم ينتمون إلى الجنسية الايرانيــة ؟ وهل يطالب هؤلاء السكان بالانفصال عن العراق والانضمام إلى إيران ؟ هذا مالم تستطع أن تعرضه إيران ، ولو استطاعت لـكان لها سنداً قوياً معقولاً

وأما عن طرح النزاع على عصبة الأمم ، فان العراق هى التى لجأت إلى هذه الخطوة ، وهو مالم تكن ترغبه إيران ؛ والفريقان المتنازعان من أعضاء العصبة ، وإيران بنوع خاص من أقدم أعضائها ؛ وليس فى الواقع ما يؤخذ على العراق فى مسلـكها ، لأنهــا تصرفت طبقاً لمـا ينص عليه ميثاق العصبة صراحة فى مادتيه الثانية عشرة والثالثة عشرة ؛ إذ تنص الأولى على « أنه إذا ثار بين أعضاء العصبة خلاف قد يجر إلى قطع العلائق ، فانهم يطرحونه إلى إجراءات التحكيم أو أمام مجلس العصبة » وتنص الثانية على « أنه إذا ثار بين أعضاء العصبة خلاف يمكن تسويته بالتحكيم ؛ فانه إذا لم يمكن تسويته بطريق المفاوضات السياسية ، فانه يطرح برمته إلى التحكيم ؛ ومن أنواع هــذا الخلاف الذى يمكن حله بطريق التحكيم الاختلاف على تفسير معاهدة ، أو على أى نقطة تتعلق بالقانون الدولى ... الخ » ؛ ولـكن الذى نعرفه من موقف إيران أمام العصبة هو أنها تأبى قبول التحكيم أو بعبارة أخرى الاختصام إلى محكمة العدل الدولية ، بحجة أن دستورها الأساسى لا يسمح بذلك ، وأنهــا تصر على بطلان المعاهدة المعقودة ، فالمسألة بالنسبة إليهــا ليست خلافاً على تفسيرها ؛ ولـكنها لا تأبى المثول لدى مجلس العصبة ، لـكى يبحث المجلس هذا الخلاف ويحاول أن يضع حداً له ؛ ومتى أتمت العصبة بحث الخلاف ، فان إيران تقوم عندئذ بمفاوضات مباشرة مع العراق لتسوية النزاع وحسمه بصورة عملية (١)

ومع أنا نرجو أن توفق الدولتان إلى حسم هــذا الخلاف الخطير سواء على يد مجلس العصبة ، أو بطريق المفاوضات المباشرة ، فانا لسنا نعلق كبير أمل على مجهود العصبة فى هذا الشأن ؛ بل يلوح لنا أن تدخل العصبة لم يكن مرغوباً فيه ، لأن سوابق العصبة فى نظرها وبحثها للمسائل الشرقية لا تشجع على حسن الظن بها خصوصاً إذا كان الأمر مما يتصل بنفوذ إحدى الدول الـكبرى ، وقد أبدت عصبة الأمم أنها فى بحث المسائل الشرقية تتأثر دائماً بمـا يحيط بها من مطامع ومصالح غربية ، وأقرب شاهد على ذلك ، مسألة اعتداء إيطاليا على الحبشة وإغارتها على أراضيها بنية ظاهرة فى الغزو والاستعمار ؛ ومع ذلك فقد أبدت عصبة الأمم حين أرادت أن تلتجىء الحبشة إليها فتوراً ورغبة ظاهرة فى التنحى عن بحث هذا النزاع ، لأن إيطاليا لم ترغب فى بحثه على يد عصبة الأمم . ولن يتغير اعتقادنا فى العصبة بالنسبة لموقفها من النزاع الايرانى العراقى ، بغض النظر عن ظروفه الخاصة ، فاعتقادنا دائماً أنها لا تستطيع معالجة هذه المسائل بروح من النزاهة والاستقلال

نرجو إذن أن يحسم الخلاف بين الدولتين الشقيقتين بالحسنى والاتفاق المباشر ، خصوصاً وأن انكلترا من جهة أخرى تعلق أهمية خاصة على سلامة هذه البقعة من الأراضى العراقية . ذلك أن البصرة استثنيت من نصوص المعاهدة العراقية الانكليزية فيما يتعلق بالجلاء وبها قاعدة جوية عسكرية بريطانية هى إحدى قواعد الطريق الامبراطورى ، وإيران من جانبها تتوجس من السياسة البريطانية فى شبه جزيرة العرب ، وتخشى أن يكون لها بما تنشئه من المطارات الحربية فيما وراء الفرات (تنفيذاً للمعاهدة العراقية الانكليزية) غايات أخرى غير تأمين المواصلات الامبراطورية . والعلائق بين إيران وانكلترا ليست على ما يرام ، وهنالك عدة مسائل معلقة بين البلدين . ومنذ سنة ١٩٢٢ ترتبط إيران والسوفييت بمعاهدة دفاعية هجومية ، وهى موجهة إلى إنكلترا بلا ريب ، فاذا استطاعت إيران بالضغط على العراق أن تدفع حدودها إلى شط العرب ، فانها تـكسب بهذا التعديل مزايا عسكرية خطيرة . وعلى هذا فمن صالح إيران والعراق أن تعمل كل منهما لحسم الخلاف توا حتى لا تدع سبيلاً إلى التدخل الأجنبى ، وعسى أن يكون فى استئناف المفاوضات أخيراً فى رومة بين مندوبى العراق وإيران مما يؤذن بقرب التفاهم والوئام بين الجارتين الشقيقتين

محمد عبد الله عنان
المحامى

(١) راجع بيان وزير إيران المشار إليه

قصـــة المـكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

هذه مقالات متفرقات شاعت فى كثير من الأمم وقرأها الألوف الكثيرة من الناس، يربطها موضوع واحد، ويجرى بها تسلسل تاريخى واحد، كتبها الكاتب العالم (بول دى كرويف) وقصد بها أن يكشف للجمهور بطريقة سهلة وفى لغة مؤاتية عن ذلك الصراع الذى بدأ منذ ثلاثة قرون بين الانسان وبين المكروب، ويصف تلك الحرب الضروس التى قامت منذ حين قريب بيننا وبين هذه الأعداء الصغيرة التى عاشت من الأزل فى رحابنا عيشة الأحلاف، وأقامت بين أظهرنا منذ كانت الحياة إقامة الاضياف، وفتكت بنا فتكا دونه فتك النار والحديد، تلك الجنود المجندة المروعة التى وجدنا أعظم خطرها فى صغرها، وأشد مراسها فى دقتها، وأنكى دهائها فى خفائها، سننشر قصتها تباعاً فى الرسالة، وسيجدها القارئ المتتبع قصة على خطرها وعلى قرب مساسها بحياتنا، فيها ما فى أقاصيص الادب من فرح ومن ألم، ومن فكاهة ومن مأساة، ومن غذاء للعاطفة الطيبة لا يقصر عن غذاء يجده فى أقاصيص الحب وحكايات الغرام. فحكاية الشجاعة والاقدام، وحكاية البروز للموت لمقاتلة الموت فى الظلام، وحكاية الألم الأليم، يحتمله المرء فى سبيل المبدأ الكريم، وحكاية الصبر على المكاره ابتغاء نفع الانسانية ومرضاة لوجه الله، حكايات لن تخفق فى تحريك القلوب الكريمة فى الرجال الأكارم

المترجم

لوفن هوك Leeuwenhoek

أول غزاة المكروب



منذ قرنين ونصف نظر رجل خامل الذكر، نكرة الاسم أول نظرة فى عالم جديد غريب يسكنه ألوف الأجناس من أحياء صغيرة بالغة الصغر، بعضها وحشى ذو عداء قتال، وبعضها رفيق صديق نفاع، فكان هذا إيذاناً بفتح مبين أكبر خطراً وأجدى على الأنسان من قارة يكتشفها وجزر يستعمرها

وكان اسم هذا الرجل «لوفن هوك Leeuwenhoek»، اسم عَفَى عليه النسيان أو كاد، ورجل لم يشد بذكره أحد، يجهله الناس اليوم كما كانوا يجهلون حيواناته ونباتاته الضئيلة يوم أن رفع الغطاء عنها. هذه قصته، قصة أول كاشف للمكروب، تتلوها قصص من تبعوه من كشاف المكروب ومقاتلة الموت، وهى قصص ساذجة بسيطة لقوم جريئين لجاجين متشوفين مثابرين، أطلوا على هذه الدنيا الجديدة العجيبة، دنيا المكروبات، وأطالوا النظر فيها وتابعوه فى غير ملل أو كلال، وأرادوا فوق ذلك أن يسبروها ويمسحوها ويجعلوا لمجاهلها ومعاميها خرائط واضحة مبينة، فأخذوا يتحسسون فى الظلام، ويمدون أكفهم متلمسين غير لامسين، فيستقيمون حيناً ويخبطون أحياناً، ويصيبون مرة ويخطئون مراراً، لحلوكة المكان ووعورة المسير. ومنهم جماعة غلَوْا فى الجرأة فقتلتهم تلك الخلائق الصغيرة التى كانوا يدرسونها فلم يصيبوا جزاء ما عملوا إلا مجداً صغيراً مستوراً

فى أيامنا هذه لا يؤخذ على المرء أن يكون رجل علم، ورجال العلم اليوم عنصر خطير من العناصر التى تتألف منها سكان البلاد المتحضرة؛ معاملهم فى كل مدينة، وأعمالهم على الصفحات الأولى من الجرائد، تذاع فى الكثير الغالب ولما يتم نضاجها، وكل متخرج شاب فى جامعة يستطيع أن يبحث فى العلوم جهاراً، وفى مكنته رويداً رويداً أن يصير أستاذاً يدرس بمرتب فيه غناء، وأن يستمتع بالسكن الهادئ فى بيت صغير مريح. ولكن احمل نفسك إلى عصر «لوفن هوك»، إلى خمسين ومائتى سنة إلى الوراء، وتصور نفسك قد رجعت الى دارك من آخر درس فى آخر سنة من مدرستك الثانوية، وبدأت تفكر فيما تتعلم من بعد ذلك لتخلق لنفسك مستقبلاً، وتهيأت تطالب المزيد من العرفان العالى، من العلم الحر، من البحث الطليق....... هيهات

أو تصور أن النُّكاف(١) أصابك، وأنك برئت منه، وأن نفسك تاقت الى عرفان هذا النكاف، ما كنهه، ما سببه. تسأل والدك فيقول لك: لعنة من روح خبيثة دخلتك. هذا جواب

(١) مرض معد يصيب الغدد النكفية وهى الواقعة فى الصدغ أمام الأذن فيورمها، ويصيب فى العادة الصغار

قد لا يقنعك ، ولـكن مع هذا تصدقه ، أو على الأقل تتظاهر بتصديقه ، ثم لا تعود تفكر فى النكاف ولا فى كنهه ولا فى سببه ؛ ثم تنساه نسياً أبديّا ، لأنك لا تستطيع أن تجهر بمناقضة أبيك ولو قال نُكراً ، ولأنك إن فعلت أذاقك مسّ العصا أو طَرْدَ البيت . فأبوك ذو سيادة مطلقة لا تُنازَع ولو جائرة

هكذا كانت الدنيا منذ ثلاثة قرون ، يوم وُلد « لوفن هوك » . كانت دنيا مليئة بالخرافات ، مغـلولة بالأباطيل . دنيا أحرقت سرڤيتوس Servetus (١) لأنه تجرأ على تشريح جثة ميت ليختبرها ليعلم ما فيها . دنيا قضت على جاليليو Galileo (٢) بالسـجن المؤبد لأنه تجاسر فحاول أن يثبت أن الأرض تدور حول الشمس . دنيا كانت على وشك أن تستيقظ لليقين ولـكنها لم تـكد ، وأن تفك عن عنقها غُلّ الجهل ولـكنها لم تـكن فعلت ، وأن تحمر خجلاً من عار ماهى فيه فلم يبدِ فى وجهها إلا مسحة تُخال من حُمرة . دنيا كان العلم فيها يدرج دَرَجان الطفل على ساقين ضعيفتين مرتعدتين فى بطء وخشـية ، وما كان العلم إلا استطلاع الحق بالنظر الدقيق والتفكير الواضح البرىء

ولد « لوفن هوك » عام ١٦٣٢ بين طاحونات الهواء الزرقاء والطرقات الواطئة والقنوات العاليـــة بمدينة « دلفت Delft » بهولاندة . وكانت أسرته ذات حُرمة كبيرة . أقول كبيرة لأنهم كانوا سلاّلين (٣) وكانوا خمّارين ، والخمّارون قوم محترمون مشرّفون فى هولاندة . ومات أبوه فأرسلته أمه الى المدرسة ليصير موظفاً فى الحـكومة ، ولـكنه ترك المدرسة فى سن السادسة عشرة ، وتتلمذ لقمّاش (١) بمدينة أمستردام Amsterdam . فكان حانوت هذا القماش جامعتَـه . تصوّر رجلاً علمياً من عصرنا هذا يُجرى اختباراته وتجاريبه بين أثواب الشيت وقرع أجراس الصيارفة ، وبين الحديث الى ربات المنازل تتوالى عليـــه فى دورة لا تنقطع وكلهن حريصات يساومن للقرش والمليم ! تلك كانت جامعة « لوفن هوك » ستة أعوام

وفى سن الحادية والعشرين ترك الحانوت ورجع إلى « دلفت » وهناك تزوّج وفتح حانوتاً لبيع المنسوجات واختص به . ولا ندرى عنه فى السنوات العشرين التى تلت ذلك إلا أنه تزوج مرة اخرى وكان له بضعة أطفال مات أكثرهم . ولـكن مالا شك فيه أنه تعيّن حاجباً فى دار بلدية المدينة فى هذه الأثناء ، وأنه شُغِف بنحت العدسات وغلا فى ذلك غلواً كبيراً . فقد كان سمع أن الذى ينحت من الزجاج الرائق عدسات صغيرة فيتقن النحت ثم ينظر إلى الأشياء من خلالها يجدها أكبر كثيراً مما تراها العين

إن المعروف عنه بين سن العشرين وسن الأربعين قليل ، ولـكن لا ريب فى أنه عاش بين الناس كبعض الجهال فلم يُعرف عنه علم ولم تظهر له بينهم قيمة ، واللغة الوحيدة التى عرفها هى اللغة الهولاندية ، وهى لغـة خافية خاملة كان ينعتها أهل العصر بأنها لغة السماكين وأصحاب الدكاكين والصعاليك من الفعلة . أما المثقفون فى تلك الأيام فـكانوا يتكلمون اللاتينية . ولم يكن « لوفن هوك » يقرأها ، بَلْهَ الـكلام بها . وكان كل ما يعرف من كتب الأدب الانجيل الهولاندى . ولـكن مع هذا ، وبالرغم من كل هذا ، ستجد أن جهله أعانه كثيراً ؛ فجهالته قطعت ما بينه وبين العلم الفارغ الزائف الذى كان شائعاً يومئذ ، فاضطُرّ إلى الرجوع إلى عينه ، والاعتماد على فـكره ، والاعتداد بحكم نفسه ، وكان فى خلقه حرونة البغال فساعده ركوب رأسه على اقتحام الطريق الذى سلك

لا مراء فى أن رؤية الشىء من خلال عدسة ، ووجدانه أكبر مما ترى العين ، أمر فيه متعة وفيه سرور وفيه غبطة . ولـكن من

(١) ميخائيل دسرڤيتوس طبيب اسبانى ولد عام ١٥١١م . جمع إلى علمه بالطب علم اللاهوت ، وتنقل فى بلدان أوربا فجادل وباحث ، واتصل بأكابر رجال عصره من أهل العلم وأهل الدين ، ولقى لوثر واتصل بكالڤين ، وكانت هذه صلة شؤم ، إذ اتهمه كالڤين بالزندقة فقبضوا عليه فى ٤ أبريل عام ١٥٥٣ فى ليون بفرنسا . واستجوبوه بتهم وجهت اليه باسم الدين المسيحى ثم فر من السجن فى فجر يوم من أبريل هذا وذهب إلى زوريخ ، وهناك تعرف عليه بعض الأحباب فوقفوه وحكموا عليه بأن يحرق حياً فأحرق فى صبيحة يوم ٢٧ أكتوبر من العام نفسه

(٢) جاليليو هو الايطالى الفلكى الفيزيائى المعروف ، ولد بمدينة بيزا عام ١٥٦٤ وتعلق حب الرياضة والفلك ، وكانت له فى النظام الشمسى آراء معروفة كرهها القساوسة فعزره البابا وأخذ عليه عهداً ألا يعود ، وطالت السنون فنشر كتاباً فى تقرير النظام الشمسى كما ارتآه كوبرنيكس فهاجت الـكنيسة عليه من جرائه ، وانعقدت محكمة التفتيش وطلبته إلى رومة فاعتذر بشيخوخته فلم تأبه لاعتذاره ، فجاءها فحـكمت عليه أحكاماً خففت عنه بالتدرج وانتهت إلى حبسه فى بيته حيث عمى عام ١٦٣٧ ومات عام ١٦٤٢

(٣) السلال صانع السلال وبائعها

(١) بائع القماش

أين للوفن هذه العدسات ! يشتريها ؟ هيهات ولو قطعوا رأسه . وكان كثير الشك كثير الاتهام ، فلم يجد بداً من صنعها بنفسه . وفى العشرين سنة التى لم نسمع فيها عنه ذهب إلى صناع النظارات وتعلم مبادئ نحت الزجاج ، وخالط الكيميائيين والصيادلة وتدخل فى أعمالهم ونفذ إلى أسرارهم ، فعلم كيف يستخرجون المعادن من خاماتها ، وأخذ عنهم بجهد النفس صياغة الذهب والفضة . وكان لايعجبه العَجَب ، فلم تُرضِهِ العدسات ينحتها كأحسن ما ينحت نحاتو هولانده ، فكان يعيد عليها الكرةَ بعد الكرة ساعات طويلة ، ثم ركبها بعد ذلك فى مستطيلات صغيرة من النحاس أو الفضة أو الذهب مما استخرجه هو بنفسه من الخام على جمرات الفحم المتقدة بين الروائح الغريبة والأبخرة الخانقة . إن الباحث اليوم يدفع الخمسة عشر جنيهاً أو نحوها فيقبض بديلاً منها مكرسكوباً جميلا بارقاً يدير لوالبه وينظر فيه فيكشف ما يكشف وهو لا يعرف كيف صُنع مكرسكوبه ولا كيف تَركب . أما « لوفن هوك » فلم يكن يأخذ بشئ أخذ تسليم

بالطبع كان جيرانه يظنون به بعض الخبل ، ولكن « لوفن » لم يأبه لهم ، ومضى فى عمله تتنفّط[1] يده وتحترق أصابعه ويشتغل ساعات الليالى الطويلة الهادئة وحيداً منكباً على أعمال صعبة دقيقة ، ناسياً أهله ، ناسياً أصدقاءه . وكان جيرانه الأخيار الطيبون يتسارقون الضحك منه بينما كان يشق لنفسه طريقاً عسيراً إلى صناعة عدسات صغيرة جداً قطرها دون ثُمن البوصة ، غاية فى التماثل ، غايةٍ فى الكمال ، بلغ منها أن أرته دقاق الأشياء كبيرةً ضخمة فى صفاء وروعة . نعم إنه لم يكن كبير الثقافة ، ولكنه كان من بين رجال هولانده الرجلَ الفذَّ الذى استطاع أن يخلق هذه العدسات . وكان إذا ذكر جيرانه يقول : لقد حق علينا أن نغفر لهم فهم قوم لا يعلمون

ثم بدأ هذا القمّاش يصوّب عدسته الى كل شئ وجد ، فنظر بها أليافَ عضلات الحيتان ، ونظر بها ما كشط من جلد نفسه . وذهب إلى القصاب يستجديه أو يشترى منه عين ثور ، وأخذها وامتحنها ونظر إلى عدستها البلورية الجميلة فراعه منها تركيبها البارع . وجاء بشعرات من صوف خروف فأخذ يحدق فيها ثم يحدق ، وبأخرى من فرو كلاب الماء ، وبثالثة من بعض الأوعال ، وأخذ يحدق فيها ثم يحدق ، فتراءت له هذه الخيوط الدقيقة الملساء تحت قطع زجاجه الصغيرة كفروع الشجر كبراً وخشونة . وشرح رأس ذبابة ، فحاذر وحاسب حتى أخرج منه مخها ، وحمله على أبرة رفيعة ، ونظر إليه بمكرسكوبه فأعجب بتفصيلات هذا المخ الكبير . واختبر قطاعات خشبية لبضع من أشجار مختلفة ، وامتحن بذور النباتات ، ونظر النظرة الأولى إلى فم البرغوث وإلى أرجل القملة فوجدها جميعاً كبيرة غاية فى الكبر ، مفصلة غاية فى التفصيل ، كاملة غاية فى الكمال ، فاتهم عينه أو كاد . كان « لوفن هوك » كالجرو يتشمم كلَّ ما حوله فلا يميز الطيب من الخبيث ، ولا يعوقه عائق من عرف أو أدب

— ٢ —

وكان « لوفن هوك » رجلاً شكاكا ملحّا فى شكّه ، ينظر الى زبانى النحلة أو الى رجل القملة ، ثم ينظر ، ثم يكرر النظر حيناً بعد حين . ثم يترك كل هذا عالقاً الى طرف منظاره ليصنع منظارات أخرى ليرى أشياء أخرى . ثم يعود الى أشيائه الأولى ليتحقق مما كان رأى أولاً . فتجمع بذلك لديه مئات المكرسكوبات . ولم يكن يكتب عما يرى حرفاً ، أو يرسم له رسما ، حتى يؤكد بعد مئات النظرات أنه فى الظروف الواحدة والملابسات الواحدة يبصر دائماً أموراً واحدة . وبعد كل هذا كانت لاتفوت الريبةُ قلبه : قال فيما قال عن هذا : « ينظر الناظر فى المكرسكوب أول مرة فيقول أرى كذا ، ثم يعيد النظر فيقول بل أرى كذا — خداعٌ لاينجو منه حتى النظار الحاذق . لقد انفقت على مشاهداتى زمناً طويلاً لايتسع له تصديق الكثيرين ، ولكنى أنفقته فى سرور ولذة ، ووضعت إصبعى فى أذنى كلما سمعت الناس يقولون : ولمَ كل هذا التعب ؟ وما العائدة من هذا النصب ؟ فان هؤلاء قوم لايفقهون ، وأنا إنما أكتب لطلاب الفلسفة وروّاد الحكمة . . »

وظل هكذا يعمل من غير راءٍ ولا سامع ، من غير مادح مصفّق أو مهلّل مكبر ، مدة بلغت العشرين عاماً

ولكن فى هذا الوقت ، فى منتصف القرن السابع عشر ، أخذت الأعوام تتمخض فى العالم عن أحداث عظيمة ، ففى

(١) النفطة البثرة فى الجلد تمتلئ بالماء من العمل أو نحوه

انجلترا وفرنسا وإيطاليا ، وفي كل ركن وبين كل ملأ ، أخذ رجال ينظرون من جديد في كل شيء يقال له علم ، وفي كل أمر تُنتحل له لفظة الحقيقة ، قالوا : لن يغنينا بعد الآن ما تحدّث به أرسطو ولا ما ارتآه البابا . لن يغنينا بعد الآن إلا ما تراه أعيننا باطالة النظر وإدامة الملاحظة ، وإلا ما تجده موازيننا وتكشف عنه تجاربنا »

وكان في انجلترا من بين هؤلاء الثائرين نفر قليلون ألفوا فيما بينهم جماعة أسموها « المدرسة المتسترة » . وكان لابد لهم من التستر خشية على رقابهم من حبال المشانق « فكرومويل » كان رب هذا العصر والحاكم بأمره فيه ، فلو أنه علم بهم ، وعلم بالأقضية الغريبة التي يبحثون ، لقضى على أهل البدعة المؤتمرين بالموت . . . وكان من بين هذا النفر المتستر « روبرت بويل » Robert Boyle واسحق نيوتن Isac Neuton وارتقى شارل الثاني عرش ملكه فخرجت تلك الجماعة من الظلام الى النور ، ومن غيهب الجبّ الستّار الذي كانت تعمل فيه الى نهار وضّاح مذياع ينشر اسمها الجديد الى الرياح الأربع . وتسمّت بالجمعية الملكية الانجليزية Royal Society of England . وكانت هذه الجمعية الوقورة الجليلة أول مستمع الى « لوفن هوك » ، وذلك أنه كان في مدينة « دلفت » رجل يسمى « رجنيير دي جراف » Regnier de Graaf كان قد كشف في مبيض الأنثى من البشر عن أمور ذات قيمة وخطر ، فكتب بها الى الجمعية الملكية فكافأته فاختارته عضواً مراسلاً . وكان « دي جراف » الرجل الوحيد من بين رجال « دلفت » الذي لم يضحك من « لوفن هوك » ، وكان « لوفن » قد تجهم للناس وتنكر لهم مما هزئوا منه وأساءوا اليه ، ومع ذلك أذن لـ « دي جراف » أن ينظر بعيون بابل التي صنعها : أن ينظر بتلك العدسات الصغيرة التي لم يكن يوجد مثلها في أوربا ولا في انجلترا بل ولا في العالم كله . نظر « دي جراف » في تلك العدسات فأكبر ما رأى ، وتصاغر في عينه مجد كَسْبه ، وأسرع فكتب الى رجال الجمعية الملكية يقول اكتبوا الى لوفن هوك واسألوه أن يكتب اليكم بالذي اكتشف

وأجاب « لوفن » رجاء الجمعية فكتب إليها بلغة الواثق الجاهل قدر الفلاسفة العظام الذين يكتب اليهم . وكان كتاباً طويلاً ثرثاراً مضحكاً لا أثر للصناعة فيه ، تناول من الموضوعات كل ما دارت عليه الشمس . وكان مكتوباً بلغة التخاطب الهولاندية وهي اللغة الوحيدة التي عرفها . وعنون كتابه : عينة من ملاحظات مكرسكوبية ابتدعها المستر لوفن هوك تتعلّق بالفطر على الجلد وفي اللحم وهلم جرا ، وكذلك تتعلق بحُمَة (1) النحلة ونحوها . وجاء الكتاب الجمعية فأدهشها ما فيه ، وقرأه السفسطائيون فيهم والعلماء فتبسموا منه وتفاكهوا عليه ، ولكن على الجملة راعهم ما قال « لوفن » إنه رآه بعدساته الجديدة ، وكتب اليه كاتب الجمعية يشكره ويرجوه أن يُتبع كتابه كتباً أخرى ، وقد كان ، فقد أتبعه « لوفن » مئات من الكتب طِيلة خمسين عاماً . وكانت كتباً ثرثارة مليئة بقوارص الكلم عن جيرانه الجهال ، فضح فيها أدعياء ، وكشف فيها عن خرافات وأضاليل كشْفَ خبير قدير ، وتحدث فيها عن نفسه وعن صحته ، وأتى فيها بأشتات من كل ما هبّ ودبّ ، ولكنها أحاديث برغم تبسطها ، وبرغم شتاتها ، كانت تتحشى هنا وهناك ، وفي كل كتاب تقريباً ، بأوصاف دقيقة مجيدة خالدة لما كشفته عين هذا التاجر . وطالعها لوردات الجمعية وسادتها فكانت لهم متعة وفخراً

(يتبع) أحمد زكي

(1) الحمة الابرة التي يلدغ بها الزنبور ونحوه

أصول التحقيق الجنائى

فى التشريعين الأوربى والاسلامى

للأستاذ بشير الشريقى

إن موضوع « أصول التحقيق الجنائى » أعنى الأساليب المتبعة لاثبات الأفعال الجُرمية هو من أهم موضوعات « العلم الجنائى » ، هذا العلم الذى ينظم إيقاع العقاب على من يخالف أمر القانون أو نهيه

إن أهمية هــذا العلم وخطره يظهران واضحين فى نتيجته الضرورية ، وهى الحكم بالعقوبة على من ثبتت جريمته ، عقوبة تحرم المتهم المقرر بجرمه أقدسَ حقوقه ، من ماله وحريته بل من حياته أيضاً

لقد تعاقب على أصول التحقيق الجنائى فى أوربا أسلوبان أصليان يعرف أولها بالأسلوب « الادعائى » وثانيهما بالأسلوب « التحقيقى » . ظل الأسلوب الادعائى سائداً فى أوربا حتى القرن الخامس عشر ، ومن مقتضاه أن يرجع القاضى عند عدم اقتناعه بالشهادات المسرودة أمامه واصرار المتهم على إنكار الجرم إلى ما يسمونه « حكم الله » ليفصل بين المتداعيين . أما حكم الله فقد كان يتجلى للقاضى بالمصارعة ، والماء المغلى ، والكىّ بالنار !

ثم أحلوا الأسلوب « التحقيقى » محل الأسلوب الادعائى حوالى القرن الخامس عشر للميلاد ، فكان التحقيق يجرى فيه بين جدران خرساء وفى خلوات متتابعة ، بين حاكم مجرب يميل بحكم العادة المسلكية إلى أن يرى فى الظنين مجرماً ، وظنين عاجز عن الدفاع مضطهد فى السجن ومستعد للأدلاء بافادات ضارة فاضحة ، وكان قضاة هــذا الأسلوب ، حينما لا يظفرون - بعد صفحات التحقيق المختلفة - بأدلة كافية لأخذ المتهم ، وبكلمة أصح ، حينما لا يظفرون بشىء ضده ؛ يأمرون بسوق المسكين إلى حجرة التعذيب للحصول على اعترافه ، وعلى مافى هــــذا الأسلوب الاستنطاقى من قسوة ووحشية ، فقد كان يظهر للأوربيين طبيعياً جداً وضرورياً ، حتى أنهم كانوا يطلقون عليه اسم « المسألة القضائية » ! . ويذكر الأستاذ (جارّو) هذه الأصول فى موجزه « الأصول الجنائيــة جزء ١ فقرة ٢٣ » فيقول : « . . ومع أن استعمال التعذيب كان عاماً ، فان طرق استعماله كانت مختلفة ، باختلاف البلاد والبرلمانات ، وبينما كان التعذيب بالماء والآلات المخصصة لتعذيب المتهم فى أعضائه السفلى ، جارياً ومقبولاً فى اجتهاد منطقة برلمان «باريز» فقد كانوا فى منطقة «بريطانيا» يستعملون التعذيب بالنار ! . . »

ويصور الكاتب الفرنسى الكبير « ميشيل زيفاكو » كيف كان يجرى التحقيق الجنائى فى عهد فرانسوا الأول (١٤٩٤ - ١٥٤٧) فيقول « . . . فاذا عرض إبهام وغموض فى إحدى القضايا ، أمر القاضيان بأن يساق المتهم إلى حجرة التعذيب ، وإذ ذاك لا تنقضى عشر دقائق حتى يقول أحد القاضيين : لقد برح الخفاء وظهر المستور ، فيقول رفيقه : آمين !! وذلك أن المتهم المسكين إذا ألقى إلى معاناة التعذيب والتنكيل يقر بكل ما يريدون الاقرار به ، وقد يعترف بعضهم بذنوب لا يصورها إلا الخيـال أو هى فوق الامكان كاقرار المتهمين بأنهم يراسلون الشياطين أو يحمون مردة الجن ، أو يطيرون فى الهواء ! »

ظل هذا التشريع فى أصول التحقيق يظلم الأوربيين ويعذبهم أعواماً وقروناً طويلة لم يفكروا خلالها فى تغييره أو مقاومته ، وكيف يفكرون فى ذلك وهم يعتبرون أن قسوته وإجحافه من الشدة الضرورية ؟!. إلى أن جاءت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ وأعلنت حقوق الانسان ، عندها فقط عمد رجال العقل والفكر فى الجمعية التأسيسية إلى إصلاح مفاسد الحقوق المرعية بوجه عام ، والحقوق الجنائية بوجه خاص ، فنجحوا فى ذلك نجاحاً عظيماً

تلك هى أصول التحقيق الجنائى فى أوربا بقيت حتى الثورة الفرنسية وفيها ما فيها من بشاعة وظلم يوقع فى أنواع من الفوضى والفساد ، وأساليب فظة غليظة لا تلائم سياسة الأمم بالعدل ولا توافق حال العمران ، وإنما تكشف عن مبلغ ما كان يسود أوربا حتى سنة ١٧٨٩ من جهل وغباوة وظلم وفساد

***

وبعــد فلنر كيف كان قضاة العرب المسلمين منذ ثلاثة عشر قرناً يحكمون بين الناس ، وأى الأساليب كانوا يتبعون لاثبات الأفعال الجرمية ! : جاء فى كتاب « الخراج » للامام أبى يوسف

المتوفى سنة ١٨٢هـ ص ١٠٧ ما يأتى :

« ... ومن ظن أو توهم عليه سرقة أو غير ذلك فلا ينبغى أن يعزر بالضرب والتوعد والتخويف فان من أقر بسرقة أو بحد أو بقتل ، وقد فعل ذلك به ، فليس إقراره بشىء ولا يحل قطعه ولا أخذه بما أقر به »

انه لقضاء عادل ونظر قويم ورأى سديد ، يتفق وأحدث قواعد العلم الجنائى ، ويبرهن أعظم برهان على أن العرب المسلمين كانوا من أعرف الناس بحق المجتمع وحق العدل ، ومن أكثرهم فطنة وعراقة فى أصول القضاء العادل

يقول الأستاذ « جارّو » فى موجزه « الأصول الجنائية جزء ٢ فقرة ٢٠٨ » : « إن التجديد الأعظم فى أصول التحقيق كان فى قانون ١٨٩٧ الذى يوجب على المستنطق أن ينذر الظنين ويخبره بأنه يقدر ألا يدلى بشىء من البيانات والأفادات »

ونقول أيضاً إن هذا « التجديد الأعظم » هو عين ما كان يفعله قضاة العرب عند مثول المتهم أمامهم ، فقد جاء فى كتاب الخراج الذى نبحث عنه ص ١٠٧ ما يأتى : « وقد كان يبلغ من توقى أصحاب رسول الله (ص) الحدود فى غير مواضعها ، وما كانوا يرون من الفضل فى درئها بالشبهات أن يقولوا لمن أتى به سارقاً : « أسرقت ؟ قل لا »

إن هذا لعمر الحق منتهى الدقة والعلم ، منتهى الأحتياط فى حفظ الحقوق

وإليك ما جاء فى كتاب « الطرق الحكمية » ص ٤ لمحمد ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هجرية فى موضوع « الأقرار » وهو مما يتصل ببحث التحقيق « . . . إن الأقرار إذا كان لعلة اطلع عليها الحاكم لم يلتفت اليه أبداً » « البينة والأقرار خبران يتطرق اليهما الصدق والكذب » « والحاكم إذا لم يكن فقيه النفس فى الأمارات ودلائل الحال ومعرفة شواهده ، وفى القرائن الحالية والمقالية كجزئيات وكليات الأحكام أضاع حقوقاً كثيرة على أصحابها ، وحكم بما يعلم الناس بطلانه ، ولا يشكون فيه اعتماداً منه على نوع ظاهر لم يلتفت إلى باطنه وسائر أحواله »

هذا ما يقوله ابن القيم فى موضوع « الأقرار » ومنه يستدل على أن قضاة العرب لم يكونوا فى قضائهم يقفون عند مجرد ظواهر البينات ، وإنما يحكمون بقناعتهم ووجدانهم وفراستهم أيضاً ، وإن فى ذلك لفطنة وذكاء وصدقاً ، خصوصاً ومسألة « القناعة الوجدانية » مسألة كبيرة تعتبر من أمهات المسائل فى العلم الجنائى الحديث ، يلاحظ فى إهمالها إضاعة حق كبير وإقامة باطل كثير ؛ وقد ذكر الأستاذ « جارّو » ذلك فى موجزه « الأصول الجنائية » جزء ٢ فقرة ٣٧٧ فقال : « لا ينبغى الحكم بمجرد وجود الأقرار إذ أن موضوع المحاكمة ليس الفصل فى منافع خاصة ، وإنما هو إظهار الحقيقة وكشفها ، ولذلك يجب التدقيق عما إذا كانت ظروف القضية تجعل الأقرار صحيحاً »

واستمع أيضاً الى ابن القيم يشرح فى طرقه الحكمية ص١٧٤ — ١٨٠ أوفى وأوضح شرح ؛ موضوع علم القاضى الشخصى : « ما علمه القاضى فى زمن ولايتـه ومكانها وما علمه فى غيرها » هذا الموضوع الدقيق جداً فى علم الحقوق . قال رحمه الله :

« وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (.. فأقضى له على نحو ما أسمع) وأما الآثار عن الصحابة رضى الله عنهم فصح عن أبى بكر الصديق أنه قال : (لو رأيت رجلاً على حد من حدود الله تعالى لم آخذه حتى يكون معى غيرى) . وعن عمر بن الخطاب أنه قال لعبد الرحمن بن عوف : (أرأيت لو رأيت رجلاً قتل أو شرب أو زنى ، قال شهادتك شهادة رجل واحد . فقال له عمر صدقت) وعن طريق الضحاك أن عمر اختصم اليه فيمن يعرفه فقال للطالب : (إن شئت شهدت ولم أقض وان شئت قضيت ولم أشهد) وعن على نحوه ، وأما الآثار عن التابعين فصح عن الشعبى أنه قال : (لا أكون قاضياً وشاهداً)

وهم يدللون على صواب هذه المسألة بقولهم : (إن القاضى فى غير مصره وغير ولايته شاهد لا حاكم ، وشهادة الفرد لا تقبل ، قالوا وأما الحدود فلا يقضى بعلمه فيها لأنه خصم فيها ، لأنه حق الله تعالى وهو نائبه) . وهل يسوغ للحاكم أن يأتى الى رجل من الناس غير مشهور بفاحشة وليس عليه شاهد واحد فيرجمه ويقول رأيته زنى ، أو يقتله ويقول سمعته يسب ، أو يفرق بين الزوجين ويقول سمعته يطلق ، وهل هذا إلا محض التهمة ، ولو فتح هذا الباب ولا سيما لقضاة هذا الزمان لوجد كل قاض له عدو ، السبيل الى قتل عدوه ورجمه وتفسيقه والتفريق بينه وبين امرأته ،

لاسيما إذا كانت العداوة خفية لا يمكن لعدوه اثباتها . » اهـ

وقد يحسن بنا بعد هذه المقارنة بين أصول التحقيق الجنائى فى التشريعين الأسلامى والأوربى ، أن نختم موضوعنا بكلمة جامعة للعلامة جلال الدين السيوطى تدل على سمو الغـاية ، وكمال المسمى الأسلامى فى التشريع القائم على تحقيق العدل وضمان المصالح الأنسانية ، وفى هذه الجملة تتجلى حيطة القاضى النزيه ، وخشيته أن يأخذ البرىء بعقوبة المذنب . قال رحمه الله : « اعلم أنك إن تخطىء فى العفو فى ألف قضية ، خير من أن تخطىء فى العقوبة فى قضية واحدة »

شرق الأردن

بشير الشريقى
المحامى

جمال النكتة فى الشعر

بقـــلم الأستاذ الحومانى
صاحب مجلة العروبة فى بيروت

النكتة فى أصل اللغة هى النقطة البيضاء فى الشىء الأسود ، أو السوداء فى الشىء الأبيض ، أخذها البيانيون لكل معنى يترك فى النفس لدى كشفه أثراً تظهر معه مظاهر الروعة والاعجاب . ولا يخفى الشبه بين الحقيقتين اللغوية والاصطلاحية ، فكما أن النفس ترتاع لمنظر السواد فى البياض كالحور فى العين ، ولمنظر البياض فى السواد كالقمر فى الليل ، فكذلك تأخـذها الروعة لسماع قطعة من النثر أو النظم قد ضمنها الشاعر معنى أخرجه بين دقة نظر وإمعان فكر ، فهى فى عرض الحديث أو القصيدة بارزة الجمال بروزها فى سواد الليل قمرا ، وفى بياض العين حوَرا

والنكتة البيانية كما تكون فى العلم نتيجة إعمال الفكر ، تكون فى الفن وليدة إبداع الخيال ، وتكون وليدة الطبع أو التطبع ، وإذا جاءت هزلية دعيت فكاهة ، وما أثقل على السمع أن يهزل بها متكلف ، وإذا كانت جدّية كانت وليدة الحذق وحدّة القلب ، أما الهزلية فتكاد تكون قاصرة على الطبع

قد يرى البعض أن النكتة فى الشعر محض فن لا روح معه ، والذى يوهمهم ذلك هو ظنهم أن الشاعر إنمـا ينظم النكتة وهو غير متأثر ، فهم يحصرون التأثر النفسى فى جانب العواطف الثائرة لحزن أو سرور ، والنكتة عندهم مجرد التفات الفكر إلى غريب معنى يكتشفه وهو يتحقق أو يتخيل ، بينما تكون العاطفة هادئة مطمئنة ؛ ولو لفتّهم العقل إلى ما تتأثر به نفوسهم لدى سماعهم هذه النكتة من روعة وجمال ثم التفتوا ثانياً إلى أن تأثر السامع إنمـا هو نتيجة تأثر القائل لاستراحوا من هذا التأويل ، ولعلموا أن النظم إذا صدق عليه أنه شعر ، كانت روح الشاعر متغلغلة فيه ، ولـكن هـذه الروح تبدو جلية فى حين وتخفى على الفهم البسيط فى حين آخر ، وليس تأثر النفس الشاعرة قاصراً على ما يبعث الحزن أو السرور فيها ، وإنمـا يتعدى ذلك إلى كثير من أفعال الوجدان ، كالدهشة ، والغضب ، والذعر ونحوها

يلتفتون إلى أن النكتة فى الشعر إنمـا تنشأ عن تنبه الفكر إلى غريب معنى يكتشفه وهو يتخيل أو يتبين الحقائق ، ويغفلون عن روعة النفس وتأثرها بمـا تشعر من وراء هذا الاكتشاف ، فاسمع نفح الطيب يروى لك جمال النكتة فى الشعر عن شعراء الأندلس :

أعوذ بالله من أناس تشيخوا قبل أن يشيخوا
إحدودبوا وانحنوا رياء فاحذرهمُ إنهم فخوخ

مناط تأثر الشاعر فى هذين البيتين ما يشعر به من تدليس المرائين ، ولعلهم المنافقون الذين يسرون الكفر ويظهرون الايمان ، وجمال النكتة منهما فى البيت الأخير ، وهى فيهما قاصرة على الفن ، وليست من الفن مجرد حمل الفخاخ على ظهورهم بجامع التقويس كما تشبه الناقة الهزيلة بالقوس ، والهلال بالعرجون القديم ، إذ ليس غرض الشاعر بيان أن ظهورهم محنية كالأقواس أو الفخاخ ، ولـكن غرضه أن يلفت العامة إلى أن وراء تقويس ظهورهم المكذوب ما وراء تقويس الفخوخ من رياء وتضليل وغش وخداع ، فلم يتقوسوا لكبر أو عجز ، بل ليخدعوا الرأى فيطمئن إليهم فى إصلاح نفسه ، ويجعلهم محل الثقة من دينه ودنياه فيمدوا إذ ذاك أيديهم إلى ذات يده ويمعنون فيهـا بزاً واختلاساً

ولـكن ما يجب أن يتنبه له هنا هو أن القنص علة للغش

والخدعة ، وهما علة للتقويس ، وأما فى الفخاخ فالقنص له معلولان لا يترتب أحدهما على الآخر : هما التقويس والخدعة . فالتقويس يلحق الآلة التى تقبض على الطريدة ، والخداع يكون بواسطة طعم يناط بالآلة المواراة خلفه

فالخداع فى المشبه يترتب على التقويس ، والقنص يترتب على الخداع ، فالرجل المرائى يتقوس ليخدع ، ويخدع ليقنص ، وأما الفخ فيتقوس ليقبض ويناط به الطعم ليخدع ، هكذا يتبين الفرق جلياً بين المشبه والمشبه به

وجميل فى النكتة قول الآخر من شعراء نفح الطيب أيضاً :

يابدر ياشمس يانهار أنت لها جنة ونار
تجنبُ الاثم فيك اثمٌ وخشية العار فيك عار

النكتة تتحقق هنا فى ادعاء الشاعر لمحبوبه جمالاً يبلغ بالهائم فيه حداً يرى معه الحسن فى المجتمع قبيحاً والقبيح حسناً ، وادعائه أن من رأى حبيبه حمله جماله على أن لم يعذره فى اقتراف الاثم معه فحسب ، بل جعل تجنبه للاثم فيه من الاثم ، وخشية العار فيه من العار ؛ ولا يخفى ما يعضد جمال المعنى من تلاعب فى اللفظ ، وكثيراً ما يكون التلاعب من الجمال

ومن جمال النكتة قول سبط بن التعاويذى :

قل لمن أصلى هواها كبدىَ ناراً تلظى
ياقضيب البان قدا وغزال الرمل لحظا
أنت أحلى من لذيذ النوم فى عينى وأحظى
قدبذلت الوصل فى الطيف فلم أعرضت يقظى؟
لا أرى لى ، والمودات حظوظ ، منك حظاً
آه من رقة خد صيرت قلبك فظاً

جمال الشعر من هذه الأبيات يتجلى فى الأربعة الأخيرة ، أما النكتة ففى الأخير ، ولعل الفتنة فيما قبله ، ولعل مبعثها اعتراض الجملة الوسطى ، والاعتراض فى الشعر جمال يأخذ اللب بسحره ، ولعلنا نأتى على طرف منه فى آخر هذه الكلمة

كنى برقة الخد عن جمال الوجه ، وإنما خص الرقة باطلاق الخاص على العام ، وهى أحد جزئيات الجمال ، ليقابل بها الفظاظة فى الروى ، فهو من جمال الفن

لما أثبت له الجمال كان من لوازمه الاعجاب والزهو فى الجميل وهما مبعث الدلال والتجنى ، وهذان يحملان على القسوة وعدم الرأفة بالهائم فى ذيهما لكثرة العشاق حوله ، فكان إذن من لوازم الجمال قسوة القلب ، وليست النكتة فيما تسمع ، ولكنها فى إيهام جعل الرقة علة للفظاظة وهما نقيضان ، بتصرف تظهر النفس معه عظهر الروعة والدهشة

فالشاعر فى الحقيقة لم يجعل الرقة علة للقسوة ، وإنما جعل الفظاظة مسببة عن تجنى الحبيب مزهواً بجماله ، ثم كنى عن الجمال بالرقة التى هى إحدى جزئياته ، فصح له إذ ذاك تعليل الشئ بجزئى سببه

يقول شمس الدين العاملى يمدح كامل بك الأسعد نجل خليل بك الأسعد وهما من زعماء بلاد (عاملة) :

وإكسير علم ركبته قريحتى غنيت به عن قصد كل بخيل
إذا شئت أن أثرى صنعت سبيكة وأهديتها للكامل بن خليل

ويقول أيضاً فى معرض اللوم على ابن عمه الشاعر على شمس الدين وقد تعرض لخلاف وقع بين زعيمين اقطاعيين :

إذا ما التقى الليثان فى حومة الوغى
وكل على كل جرىءٌ مشيّع
فمن سفه أن ينبح الكلب ضيغما وينطحذا رَوق لدى الروع أقرع

فانك تستطيع أن تهتدى إلى النكتة فى آخر الشعر حتى تعلم الخبر الذى تقدم البيتين ثم لا ترتاع نفسك للشعر تماماً حتى تعلم أن ابن عم الشاعر أقرع . وهكذا كثيراً ما تكون النكتة ، لتسمى نكتة ، متوقفة على بيان ماهى فى سياقه

وقد تبنى النكتة على مثل خاص أو حديث خاص واصطلاح قوم خاص ، فتكون نكتة خاصة لا يرتاع لها إلا من شرك قوماً نظمت لهم فى الجهة التى بنيت عليها ، فالشاعر حيث يقول :

عزلوك لما قلت : ما اعطى ، وولّوا من بذلْ
أو ما علمت بأن (ما) حرف يكف عن العمل ؟؟

فانما بنى النكتة فى شعره على القاعدة اللغوية القائلة : إن (ما) فى قولك : « إنما زيد قائم ونحوه » كافة عن العمل ، فلم تكن لتهتدى إلى النكتة وأنت غير نحوى ، ثم لم تكن لتتفهم التمهيد لها فى البيت الأول حتى تعلم أن الشاعر قال ذلك فى زمن لا يولى امرؤ عملاً حتى يرشى أولى الأمر كالزمن الذى نحن فيه

ومثله قول الهلالى :

وغزال قلت ما الا سمُ حبيبى ؟؟ قال مالك

من تراثنا العلمي

تعبير الرُّؤْيا لابْنِ قتيبة

وصف وتلخيص لنسخة ثمينة من كتاب مفقود

للأستاذ علي الطنطاوي

تتمة

والعرب تضع النفس موضع الروح، والروح موضع النفس، فيقولون: خرجت نفسه وفاضت، وخرجت روحه منه، إما لأنهما شيء واحد، أو لأنهما شيئان متصلان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر، وكذلك يسمون الجسد نفساً، لأنه محل النفس، قال ذو الرُّمّة حين احتُضِر:

يا قابض الروح من نفسي إذا احتُضِرت
وغافر الذنب زحزحني عن النـــار

ويسمون الدم جسداً لأن الجسد محله. قال النابغة الذبياني:

فلا لَعَمْرُ الذى قد زُرته حججاً
وما أُريق على الأنْصاب من جسدِ

والمهجة عندهم الدم. قال الأصمعي: سمعت أعرابية الخ...

وقد أعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرواح الشهداء في خواصل طير خضر الخ... وأرواح أهل النار الخ...

(قال أبو محمد): ولما كانت الرؤيا على ما أعلمتك من اختلاف مذاهبها، وانصرافها عن أصولها، بالزيادة الداخلة، والكلمة المعترضة، وانتقالها عن سبيل الخير إلى سبيل الشر باختلاف الهيئات واختلاف الأزمان والأوقات، وأن تأويلها قد يكون مرة من لفظ الاسم ومرة من معناه، ومرة من ضده، ومرة من كتاب الله، ومرة من الحديث، ومرة من البيت السائر والمثل المشهور، احتجت إلى أن أذكر قبل ذكر الأصول أمثلة في التأويل، لأرشدك بها إلى السبيل

فأما التأويل بالأسماء فتحمله على ظاهر اللفظ الخ. قال: وأخبرنا محمد بن عبد العزيز عن... عن... عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت الليلة فيما يرى النائم كأني في دار عقبة بن رافع وأتيت برطب من رطب ابن طاب (نوع من تمر المدينة)، فأولته أن الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب [1]

أخبرنا أبو حاتم الخ... (قال أبو محمد): وربما اعتبر من الاسم إذا كثرت حروفه البعض الخ. قال الشاعر:

أهدت اليه سفرجلاً فتطيرا
منـــه وظل نهاره متفكراً

خاف الفراق لأن أول ذكره
سفر وحق له بأن يتطيرا

وكذلك السُّوسَن الخ. قال الشاعر:

ســوســنة أعطيتنيها فما
كنتِ باعطائها محسنه

أولها سوء فان جئت بالآ
خر منها فهو سوء سنه

وأما التأويل بالقرآن فكالبيض يعبر بالنساء لقول الله عز وجل «كأنهن بيض مكنون» الخ... وكالحبل يعبر بالعقد لقوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً» ولقوله تعالى: «ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس» أي بأمان وعهد. والعرب تسمى العهد حبلاً، قال الشاعر:

وإذا تجوزها حبال قبيلة
أخذت من الأخرى إليك حبالها

وكاللباس يعبر بالنساء لقوله جل وعز: «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن». قال النابغة الجعدي، وذكر امرأة الخ...

وأما التأويل بالحديث فالغراب هو الفاسق لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماه فاسقاً، والفأرة الخ...

(١) رواه مسلم وأبو داود

قلت: صف لي وجهك الز
اهي وصف حسن اعتدالك

قال: كالبدر وكالغصـ
ـن وما أشبه ذلك

فالنكتة في العجز الأخير، وإنما بنيت على كثرة استعمال النحويين لهذه الجملة حتى أصبح ذكرها في غير المسائل النحوية يعد اقتباساً

ومن جمال النكتة في الشعر الهزلي قول أحد المعاصرين يداعب صديقاً له:

يا صابغ اللحية ما تستحي
تشارك الرحمن في صنعته

أقبح شيء شاع بين الورى
أن امرأ يكذب في لحيته

وليس لجمال النكتة في الشعر حد يوقف عنده، فتلمسه في شعر الظرفاء تجد منه الكثير

الحوماني

وأما التأويل بالمثل السائر واللفظ المبذول كقولهم فى الصائغ : إنه رجل كذوب لما جرى على ألسنة الناس من قولهم : فلان يصوغ الأحاديث إذا كان يضعها الخ . . . وكقولهم فى الماسح : إنه ذو أسفار ، لقولهم لمن كثرت أسفاره هو يمسح الأرض . قال الشاعر فى هذا المعنى :

قبح الله آل برمك إنى   صرت من أجلهم أخا أسفار
إن يكن ذو القرنين قد مسح الأر   ض فانى موكل بالغبار

ويرى أهل النظر من أصحاب اللغة أن الدجال إنما سمى مسيحاً لأنه يمسح الأرض إذا خرج أى يسير فيها ، ولا يستقر بمكان ، وأن عيسى عليه السلام إنما سمى بذلك لأنه كان سائحاً فى البلاد لا يقيم بشئ منها ولا يوطنه ، ومن ذهب إلى هذا جعله فعيلاً فى معنى فاعل مثل قدير ورحيم ؛ ويرى قوم أن الدجال سمى مسيحاً لأنه ممسوح إحدى العينين . وهذا وإن كان وجهاً فالاشتقاق الأول أعجب ، لأن تسميتهم إياه الدجال تشهد له [1] ، والدجالة هى الرفقة فى السفر والقافلة ، قال خداش بن زهير :

فان يك ركب الحضرمى غرامة   فان كلا ركبيكم أنا غارم
سأغرم من قدنالت الحجر منهم   ودجالة الشام التى نال حاتم

يعنى قافلة أصابها حاتم الخ . . . .

وكقولهم فيمن غسل يديه بأشنان ، إنه اليأس من الشيء يطلبه ، لقول الناس لمن يئسوا منه : قد غسلت يدى منك بأشنان ، قال الشاعر :

فاغسل يديك بأشنان وأنقهما   غسل الجنابة من معروف عثمان

وكقولهم فى الكبش الخ . . . .

وأما التأويل بالضد والمقلوب فكقولهم فى البكاء إنه فرح مالم يكن معه رنة ولاصوت ، وفى الفرح والضحك إنه حزن الخ . .

وأما تعبير الرؤيا بالزيادة والنقص فكقولهم الخ . . . .

وقد تتغير الرؤيا عن أصلها باختلاف هيئات الناس وصناعاتهم وأقدارهم وأديانهم ، فتكون لواحد رحمة ، وعلى الآخر عذاباً الخ . . . حدثنا محمد الخ . . قال : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبى بكر ، فرأى سلمان لأبى بكر رؤيا فجانبه وأعرض عنه ، فقال له أبو بكر : أى أخى ! مالك قد أعرضت عنى وجانبتنى ؟ قال : رأيت كأن يديك جمعتا الى عنقك ، فقال أبو بكر : الله أكبر ! جمعت يداى عن الشر الى يوم القيامة

حدثنى محمد عن . . . عن . . . عن عطاء ، قال : كان محمد ابن سيرين يقول فى الرجل يرى له أنه يخطب على منبر : إن كان ممن ينبغى له السلطان أصاب سلطاناً . وإلا فانه يصلب . شبه الجذع بالمنبر . وقال الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء فى ربيعة ! قال : نعم ، ولكن منابرهم الجذوع الخ . . .

ومن عجب الرؤيا أن الرجل يكون مفحماً لا يقدر على أن يقول بيت شعر ، أو بكيا يتعذر عليه القليل منه إلا فى المدة الطويلة ، مع إعمال الفكر ، وإنعام الروية ، فينشد فى النام الشعر الجيد لم يسمع به قط فيحفظه أو يحفظ منه البيت أو البيتين ، ويكون عيياً أو أعجمياً ، فيتكلم بالكلمة من الحكمة البليغة ويوعظ بالموعظة الحسنة ، ويخاطب بالكلام البليغ الوجيز الذى لا يستطيع أن يتكلف مثله فى اليقظة بعرق الجبين ، وهذا من أدل الدلائل على اللطيف الخبير

روى الرازى الخ . . . وروى واصل الخ . . . وأما الشعر فان أبا اليقظان قال : تزوج رجل امرأة ، فعاهد كل واحد منهما صاحبه ألا يتزوج الآخر بعده ، ومات الرجل ، فلما انقضت عدة المرأة أتاها النساء فلم يزلن بها حتى تزوجت ، فلما كانت ليلة هدائها أغفت بعد ما هيئت فاذا هى بالرجل آخذا بعضادتى الباب يقول : ما أسرع ما نسيت العهد يارباب ! ثم قال :

حييت ساكن هذا البيت كلهم   إلا الرباب فانى لا أحييها
أمست عروساً وأمسى منزلى جدثا   إن القبور توارى من ثوى فيها

فانتبهت فزعة ، فقالت : والله لا يجمع رأسى ورأسه بيت أبدا ، ثم تخالعا . وروى ابن الكلبى عن جبلة بن مالك الغسانى قال : سمع رجل من الحى قائلاً يقول فى المنام على سور دمشق

ألا يالقومى للسفاهة والوهن   وللعاجز الموهون والرأى ذى الأفن
ولابن سعيد بينما هو قائم   على قدميه خر للوجه والبطن
رأى الحصن منجاة من الموت فالتجا   اليه فزارته المنية فى الحصن

فأتى عبد الملك بن مروان فأخبره ، فقال : ويحك ، هل

---

(1) (قال فى اللسان) : الدجل المموه الكذاب وبه سمى الدجال لأنه يدجل الحق بالباطل ؛ وقيل بل لأنه يغطى الأرض بكثرة جموعه ؛ وقيل لأنه يغطى على الناس بكفره الخ . . . (وقال فى التاج) : وقيل هو من دجل الرجل إذا قطع نواحى الأرض سيراً (الطنطاوى)

سمعها منك أحد ؟ قال : لا . قال : فضعها تحت قدميك

ثم قال ، عبد الملك عمرو بن سعيد ، عن عقيل .. عن .. أن رجلاً الخ ...

(قال أبو محمد) وسأخبرك فى هذا الباب بأعجوبة عن نفسى : سألني رجل من أصحاب الغريب كان يكثر الاختلاف الى عن جنهى ما هو ؟ ولم أعرفه الخ . . .

ورأيت أيضاً فى المنام وأنا حديث السن كتباً فيها حكم كثيرة بألفاظ غريبة ــ كنت أحفظ منها شيئاً ثم أنسيت ذلك إلا حرفا وهو : وبلغت اليه صلّة الهواء ، وما كنت أعرف فى ذلك الوقت ما الصلة ، ثم عرفتها بعد ، والصلة اليبس

ومن عجائب الرؤيا أن الرجل يرى الشيء لنفسه أو يُرى له فيكون ذلك لشقيقه أو ابنه أو شبيهه أو سميه الخ . . .

(قال أبو محمد) وحكى أبو اليقظان الخ . . . (قال أبو محمد) وما أشبه هذا الحديث بحديث رجل رأى فى المنام ــ أيام الطاعون أن جنائز تخرج من داره على عدد من فيها ، فطعن أهل الدار جميعاً غيره ، فبقى ينتظر الموت ولا يشك فى أنه لاحق بهم ، فدخل الدار لص ، فطعن فيها فمات فى الدار ، فأخرجت جنازته منها وسلم الرجل

(حدثنا أبو محمد) قال حدثنى بعض الكتاب الخ . . .

وإن رأيت الرؤيا كلها مختلطة لا تلتئم على الأصول علمت أنها من الأضغاث فارجيتها ، وإن اشتبه عليك الأمر ، سألت الرجل عن ضميره فى سفره إن كان رأى السفر ، وفى صلاته إن كان رأى الصلاة ، وفى صيده إن كان رأى الصيد ، ثم قضيت بالضمير ، وإن لم يكن هناك ضمير أخذت بالأسماء على ما بينت لك . وقد تختلف طبائع الناس فى الرؤيا ، ويجرون على عادة فيها ، يعرفونها من أنفسهم ، فيكون ذلك أقوى من الأصل ، فتسأل عن طبع الرجل ، وما جرت عليه عادته الخ . . . وإن كان الأصل طائراً الخ ، وإن كان غراباً الخ . . . وقيل لمن أبطأ عليك أو ذهب فلم يعد اليك : غراب نوح ، وإن كان عقعقاً كان رجلاً لا عهد له ولا حفاظ ولا دين قال الشاعر :

الا إنما حملتم الأمر عقعقا

وإن كان عقاباً الخ . . . .

* * *

هذه فقر من المقدمة القيمة التى قدم بها الكتاب وهى تقع فى أكثر من أربعين صفحة ، وتأتى من بعدها أبواب الكتاب وهى ستة وأربعون باباً ، فيها من نوادر الشعر وطرائف اللغة ودرر الأدب مثل ما فى المقدمة ، ولولا أن هذا الفصل قد طال ، لاخترنا منها فقراً رويناها فى (الرسالة) ، والكتاب على الجملة من نفائس تراثنا العلمى ، ومكانه من الخزانة العربية لا يزال خالياً لم يشغله كتاب . وإنا لنأمل له من رجال الأدب ومن الناشرين الاهتمام اللائق به ؟

(دمشق) على الطنطاوى

١٣ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود

فقال سقراط ـ سأعمد الآن الى أحد زوجى الأضداد اللذين ذكرتهما لك فأحلله ، وأحلل كذلك فعليه الأوسطين ، وعليك أن تحلل لى الآخر . فحالة النوم تضاد حالة اليقظة ، ومن النوم تتولد اليقظة ، ومن اليقظة يتولد النوم ، وعملية التولد هى فى إحدى الحالين ادراك النعاس ، وهى الاستيقاظ فى الأخرى . أفأنت متفق معى على هذا ؟

ـ إنى جد متفق

إذن فهب أنك أخذت بهذه الطريقة نفسها تحلل لى الحياة والموت . أليس الموت يضاد الحياة ؟

ـ نعم

ـ وهما متولدان : أحدهما من الآخر ؟

ـ نعم

ـ ما الذى تولد من الحياة ؟

ـ إنه الموت

ـ وما الذى تولد من الموت ؟

ـ لا يسعنى أن أقول فى الجواب إلا أنها الحياة

ـ إذن ياسيبيس فالحى من الأشياء والأشخاص متولد من الميت ؟

فأجاب ـ هذا جلى

ـ ونتيجة ذلك إذن هى أن أرواحنا كائنة فى العالم الأسفل ؟

ـ هذا حق

ـ وأحد الفعلين أو التولدين ملحوظ بالعين — فلا شك أن عملية الموت ظاهرة ؟

فقال ـ لا ريب

ـ أفلا يجوز أن يستنتج التولد الآخر ، على أنه متمم للطبيعة التى لا يفترض بأنها تسير على ساق واحدة فحسب ؟ فان كان الأمر كذلك ، فلا بد أيضاً أن يضاف الى الطبيعة عملية تولد من الموت مقابل عملية التولد من الحياة

فأجاب ـ يقيناً

ـ وماذا تكون تلك العملية ؟

ـ هى عودة الحياة

ـ وعودة الحياة ، ان صح وجودها . هى ولادة الميت فى عالم الأحياء ؟

ـ هذا جد صحيح

ـ إذن فهناك سبيلاً جديدة تؤدى بنا الى النتيجة بأن الحى يخرج من الميت كما يخرج الميت من الحى سواء بسواء ، فان صح هذا فلابد أن تكون أرواح الموتى مستقرة فى مكان مّا ، ستعود منه مرة أخرى ، وقد أقمنا على ذلك فيما أظن دليلاً مقنعاً

قال ـ نعم ياسقراط ، فيظهر أن هـذا كله يتبع بالضرورة ما سلمنا به من قبل

فقال ـ ولم يكن ذلك الذى سـلمنا به ياسيبيس معوجاً ، وتستطيع أن تتبين ذلك ، فيما أظن على هذا النحو : لو كان التولد يسير فى خط مستقيم فقط ، فلم تكن فى الطبيعة دورة أو تعويض ، فلا تبادل بين الأشياء أخذاً ورداً ، لاتخذت الأشياء ـ كما تعلم ـ فى نهاية الأمر صورة بعينها . ولتحولت الى حالة بعينها ،ولما تولد منها بعد ذلك شىء

فقال ـ ماذا تعنى بهذا ؟

فأجاب ـ أعنى شيئاً بسيطاً جداً سأوضحه بحالة النوم . فأنت تعلم أنه لو لم يكن ثمت توازن بين النوم واليقظة لأضحت قصة أنديميون (١) النائم بلا معنى ؛ فقد كان النعاس سيدرك كذلك كل شىء آخر ، فلا يعود أنديميون موضعاً لتفكير أحد ؛ أو لو كانت المادة يتتابها تكوين بغير انقسام ، إذن لعاد هيولى انكسجوراس مرة ثانية . وهكذا ، أى عزيزى سيبيس ، لو كان كل شىء تناولته الحياة صائراً إلى الموت ، ثم لا يعود إلى الحياة ثانياً لا نتهى الأمر بكل شىء إلى الموت ، فلا يبقى ثمت شىء حى ـ وإلا فكيف يمكن ذلك أن يكون ؟ إذ لو كانت الأحياء صادرة من شىء غير الأموات ، وكان الأحياء يدركهم الموت ، أليس حتما أن يبتلع الموت آخر الأمر كل شىء ؟

فقال سيبيس ـ ليس عن ذلك منصرف ياسقراط ، وإنى لأحسب أن ما تقوله أنت حق خالص

(١) أنديميون شاب جميل ، أغرقه القمر فى نعاس دائم ، لكى يستطيع أن يقبله على غرة منه

فقال – نعم ياسيبيس ، إنى كذلك أحسبه حقاً خالصاً ، ولسنا بذلك سابحين فى خيال فارغ ، ولكنى ثابت الايمان بحقيقة العودة إلى الحياة ، وبأن الأحياء يخرجون من الموتى ، وبأن أرواح الموتى ما برحت فى الوجود ، وبأن الأرواح الخيِّرة أوفى من الأرواح الشريرة جزاء

فأضاف سيبيس – كذلك لو صح مذهبك العزيز ياسقراط ، بأن المعرفة ليست إلا تذكراً ، لا قتضى ذلك بالضرورة زمناً سالفاً تعلّمنا فيه ما نحن الآن ذاكروه . وقد كان هذا التذكر يستحيل لو لم تكن أرواحنا قبل حلولها فى الصورة البشرية ، كائنة فى مكان ما ، وإذن فهذه حجة أخرى تؤيد خلود الروح

فاعترضه سمياس قائلاً : ولكن حدثني ياسيبيس، ما البراهين التى تساق لمذهب التذكر هذا ؟ فلست جازم اليقين بأنها الآن تحضرنى

قال سيبيس – منها برهان ساطع تقيمه الأسئلة ، فاذا أنت ألقيت على شخص سؤالاً بطريقة صحيحة ، أجابك من تلقاء نفسه جواباً صحيحاً . فكيف استطاع أن يفعل ذلك ، مالم تكن لديه من قبل معرفة ومنطق مصيب ؟ وأكثر ما يكون ذلك وضوحاً ، حينما يعرض عليه شكل هندسى ، أو أى شىء من هذا القبيل

قال سقراط – إن كنت لا تزال شاكاً ياسمياس ساءلتك ، أفلا يجوز أن توافقنى إذا ما نظرت الى الموضوع على نحو آخر ؟ أعنى اذا كنت لا تزال متردداً فى التسليم بأن المعرفة عبارة عن تذكر ؟

فقال سمياس – لست شاكاً ، ولكنى أردت أن تعاد إلى ذاكرتى نظرية التذكر هذه ، ولقد بدأت أذكرها وأقتنع بها مما قاله سيبيس ، غير أنى مازلت أتمنى لو أدليتم بما لديكم فوق ماأعلم

فأجاب – هذا ماسوف أدلى به ، ولعلنا ، إن لم أكن مخطئاً ، متفقون على أن ما يتذكره الانسان لا بد أن يكون قد علمه فى زمن سالف

– جد صحيح

– فما طبيعة هذا التذكر ؟ إنما أريد بهذا السؤال أن أتساءل : ألا يحق لنا القول بأنه إذا لم يقتصر علم إنسان على ما قد رآه أو سمعه أو سلك إلى إدراكه أية سبيل أخرى ، بل عرف شيئاً آخر معرفة تباين تلك ، أفليس هو بذلك إنما يتذكر شيئاً يختلج فى عقله ؟ ألسنا على ذلك متفقين ؟

– ماذا تعنى ؟

– أعنى ماقد أوضحه بهذا المثال الآتى : ليست معرفتك القيثارة كمعرفتك الانسان سواء بسواء ؟

– هذا صحيح

– ولكن ما شعور المحبين إذا ما رأوا قيثارة أو لباساً أو أى شىء آخر مما كان المحبوب يستخدمه عادة ؟ أليسوا من رؤية القيثارة يكوّنون فى عين العقل صورة للفتى صاحب القيثارة ؟ وهذا تذكر ، وكل من يرى سمياس قد يتذكر بنفس الطريقة سيبيس ، وهناك من هذا الضرب أشياء لا يحدها الحصر

فاجاب سمياس – نعم إنها موجودة حقاً ولا حصر لعددها

فقال – وهذا الشىء وما اليه هو التذكر ، وهو فى الأعم الأغلب عملية لكشف ماقد طواه النسيان بفعل الزمن والأهمال

فقال – هذا صحيح

– ثم ألا يجوز كذلك أن تتذكر انساناً من رؤية قيثارة أو صورة لجواد ؟ أو قد تبعثك صورة سمياس على تذكر سيبيس ؟

– هذا حق

(يتبع) زكى نجيب محمود

لحظات على متن الباخرة كوثر

للأستاذ عبد الحميد العبادى

تفضلت « شركة مصر للملاحة البحرية » فدعتني الى شهود احتفالها بسفر الباخرة « كوثر » من مرفأ الاسكندرية الى السواحل الحجازية مقلة حجاج بيت الله الحرام . فقبلت الدعوة مبتهجاً مسروراً ، وأجمعت أن ألبيها شاكراً ممتناً ، وقلت فى نفسى إن فاتنى أن أحج بيت الله على متن هذه الباخرة ففاتنى بذلك ثواب تلك الفريضة الكبرى ، فلا أقل من أن أحج السفينة نفسها. فأفوز برؤية الحلقة الثالثة من سلسلة ستكتمل حلقاتها بأذن الله ، ويكون لهذا البلد منها أسطول مبارك الغدوات ميمون الروحات

وحانت الساعة الرابعة من عصر يوم الخميس الماضى ، فأخذت طريقى الى المرفأ فيمن أخذ ، وصعدت تلك الباخرة الجاثمة فوق متن الماء كالطود العظيم فيمن صعد ، وقد صعدها خلق كثير من علية القوم وأوساطهم يعدون بالمئين . وجعلت أطوف أنحاء السفينة مع المطوفين ، صاعداً وهابطاً ، متنقلا من طابق الى طابق ، ومن مقصورة الى مقصورة ، ومن مرفق الى مرفق ، وأشهد لقد تملكتني الحيرة من روعة ما شهدت ، وفخامة ما رأيت . وأشكل على الأمر هنيهة من الزمن ، فكأننى فى حلم من تلك الأحلام اللذيذة التى يخشى معها الحالم أن تتفتح عيناه على الحقيقة المرة المؤلمة ! أهذه سفينة مصرية حقاً ؟ وهذا العلم الخفاق فوق حيزومها ، أهو العلم المصرى ؟ وهذا الاسم العربى المرقوم عند جؤجؤها ، أمكتوب هو بالحرف العربى ؟ وهؤلاء الشبان الرائحون الغادون فى طرابيشهم القانية وملابسهم البحرية الجميلة ، يطلعون الزوار على مادق من مرافق السفينة وما جل ، أهم مصريون حقاً ؟ وزاد بى اللبس فجعلت أتقرى الأشياء بيدى أتثبتها على نحو ماصنع البحترى عند ما قام فى إيوان كسرى ، وعراه ماعرانى من الدهش والالتباس !

يغتلى فيهم ارتيابى حتى تتقراهم يداى بلمس

ولكن لم يطل أمد تلك الحال ، فكل شيء حولى قد احتشد لنصرة اليقين على الشك فى المعركة التى قامت بينهما فى نفسى ، وسرعان ما محا نور اليقين ظلمة الشك ، واطمأنت النفس الى أنى قائم فى قطعة من مصر طافية على وجه الماء

الله أكبر ! لقد أخذ الزمان يستدير ، وشرعت مصر تسترد مكانة كانت لها فى القديم ثم نحيت عنها قوة واقتداراً ، أليست مصر صاحبة أول بعثة تجارية بحرية فى التاريخ هى بعثة الملك (اسنفرو) الى الشام ؟ أليست مصر صاحبة أول بعثة استكشافية يعرفها التاريخ هى بعثة الملك (نخاو) حول أفريقية ؟ ألم تكن مصر سيدة البحار على عهد البطالسة ، ومنارتها بالاسكندرية من عجائب العالم القديم ؟ أليس أسطول مصر الاسلامى هو الذى دحر الأسطول البيزنطى فى واقعة « ذات الصوارى » المشهورة وانتهت اليه زعامة شرقى بحر الروم زمناً طويلاً ؟ ثم ماذا ؟ ثم كانت واقعة « نوارين » التى تحامل فيها الغرب على الشرق فدمر فيها الأسطول المصرى تدميراً ، وكان ذلك آخر عهد مصر بالملاحة الصحيحة

إن تعجب فعجب أن تكون لمصر سواحل مترامية مطلة على بحرين من أهم بحار الأرض ، وأن يكون لها هذا الماضى الجليل ، ثم تظل طوال القرن التاسع عشر وصدر القرن العشرين عالة على سفن غيرها فى نقل عروضها ومتاجرها ومسافريها ، ولكن هذا الذى قدر فكان . فليذكر ذلك الذاكرون فى هذه الأيام السعيدة التى تأذن الله فيها بانبعاث البحرية المصرية على أيدى رجال « شركة مصر للملاحة البحرية »

***

لقد كنت أمضى فى تأملاتى هذه ، لولا أن يسرت أقدار لأقدار ، فلمحت عن كثب زعيم مصر الاقتصادى ، وحامل لواء نهضتها المالية الحرة ، ومن عساه أن يكون سوى « محمد طلعت حرب باشا » ؟ فأسرعت إليه أبثه إعجابى بما أرى ، وأهنئه وأهنئ فى شخصه رجال هذه الشركة المباركة على ما أوتوا من عناية الله وتوفيقه . وجلست اليه سويعة تحدثت إليه فيها فيما خص من الأمر وما عم ، ثم قمت من حضرته وأنا أهدى مما كنت ، وأفهم مما كنت ، وخيراً مما كنت . وكذلك الشباب اذا ظفر بلقاء الرجل العظيم والتحدث اليه

وكانت الشمس قد أوت الى الأفق الغربى مؤذنة بالمغيب ، وجعلت ترسل أشعتها على أعالى البواخر والسفن فتصبغها بمثل الورس الأحمر ، وتسكبها على ماء البحر فتحيله تبراً مذاباً . وشمل المنظر خشوع وجمال وجلال ، زاد القلب طرباً ونشوة ووجداً . فانصرفت وأنا أدعو (لكوثر) وأخواتها بيحر ذلول ، وريح رخاء ، وأهتف من أعماق قلبى لأولئك الذين بعثوا العزة القومية بعد وأدها ، وأحيوا فى نفوس هذه الأمة دارس الأمل وميت الرجاء م؟

عبد الحميد العبادى

١١ – بين القاهرة وطوس

اصفهان

«نصف جهان»(١)

للدكتور عبد الوهاب عزام

خرجنا من قم والساعة ثلاث بعد الظهر، سائرين الى الجنوب تلقاء أصفهان، وبين قم وأصفهان ٢٨٢ كيلا، فما زلنا نضرب فى سهوب مترامية تعمرها قرى قليلة، حتى قطعنا ٩٢ كيلا فى ساعتين، فبلغنا قرية دليجان، وهى قرية كبيرة على الجادة يبدو عليها الفقر، وبيوتها كغيرها من قرى إيران، مسنّمة السقوف، مطينة الجُدُر، فاذا رأيتها على بعد حسبتها قبوراً عالية. وقفنا فى القرية على بناء كتب عليه بالانكليزية أنه مطعم ومشرب شاى، وهو طبقتان فى كل واحدة حجرتان، وللطبقة العالية سلم من اللبِن يهبط الى الطريق

دخلنا فقدم لنا الشاى والبطيخ، واسترحنا قليلاً، ثم ركبنا سيارتنا وقد كادت الشمس تغرب. قلنا: كم بيننا وبين أصفهان؟ قيل أربع ساعات، وبين دليجان وأصفهان ١٩٠ كيلاً. وقال سائق السيارة لصاحب المطعم سنمرّ بك بعد غد، فهيىء لنا دجاجة وحساء، قال نعم، ذلك وكل ما تشتهون

ضربنا فى أرض بلقع يتخللها عمران قليل، حتى بلغنا بلدا اسمه شاه عباس، بينه وبين أصفهان خمس وعشرون دقيقة، فتغير مرأى الأرض، وبدت لنا الأشجار والزروع والمياه، وما زلنا فى أرض مخصبة مخضرة حتى دخلنا المدينة والساعة تسع وخمس دقائق من مساء السبت حادى عشر رجب (٢٠ اكتوبر)

أُصبهان: مدينة العراق العجمى، على ٤٣١ كيلاً الى الجنوب من طهران، وعرضها ٣٢ درجة وطولها ٤٩، وارتفاعها ١٣٤٤. وهى فى سهل واسع خصب، حسن الهواء كثير الماء والشجر؛ قال ياقوت: «وكانت مساحة أصبهان (أى الأقليم) ثمانين فرسخاً فى مثلها، وهى ستة عشر رستاقاً كل رستاق ستون وثلاثمائة قرية قديمة سوى المحدثة». ولا ريب أن فى رواية ياقوت غلواً تابع فيه الأقوال الشائعة. وقد قال هو عن اصبهان: «مدينة عظيمة مشهورة، من أعلام المدن وأعيانها. ويسرفون فى وصفها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد»

وقد أدى الى إغراق الناس فى وصف أصفهان وأقليمها استبحار العمران هناك، وكثرة القرى، والمياه والزروع. وقد حدثنى مهندس ألمانى فى مدينة أصفهان أن من بقاع اصفهان بقعة يسير فيها السائر خمسة عشر كيلاً بين الأشجار. ويُنبت الأقليم القطن والتبغ والبطيخ وكثيراً من الفاكهة

والمدينة على نهر زنده رود (النهر الحى)، ويسمى اليوم زايَنده رود (النهر الوَلود). حدثنى رجل أنه سُمّى بهذا لانبجاس مياهه من الأرض فى مواضع كثيرة. قال ياقوت: «زند روذ نهر مشهور عند أصبهان، عليه قرى ومزارع؛ وهو نهر عظيم أطيب مياه الأرض وأعذبها». وقال فى موضع آخر: «وقد وصفه الشعراء فقال بعضهم:

لست آسى من اصبهان على شى ... ء سوى مائها الرحيق الزلال
ونسيم الصبا ومنخرق الري ... ح وجو صاف على كل حال
ولها الزعفران والعسل الما ... ذى والصافنات تحت الجلال»

وكذلك قال الحجاج لبعض من ولاّه اصبهان: قد ولّيتك بلدة حجرها الكحل، وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران. وقال آخر:

لست آسى من اصبهان على شى ... ء أنا أبكى عليه عند رحيلى
غير ماء يكون بالمسجد الجا ... مع صاف مروّق مبذول. اه

ولعل قول كل من هذين الشاعرين «لست آسى» لما تحدث به القدماء من وصف أهل اصبهان بالبخل. وقد حكى عن الصاحب ابن عباد أنه كان إذا أراد الدخول الى اصبهان قال: من له حاجة فليسألنيها قبل دخولى الى اصبهان، فانني إذا دخلتها وجدت بها فى نفسى شحاً لا أجده فى غيرها. وقد روى ياقوت بيتين كتبا فى بعض الخانات التى فى طريق اصبهان:

قبّح السالكون فى طلب الرز ... ق على أيذج الى اصبهان
ليت من زارها فعاد اليها ... قد رماه الآله بالخذلان

(١) يقول الفرس اصفهان نصف جهان. أى أصفهان نصف العالم

وعلى نهر اصبهان اليوم ثلاث قناطر من عجائب الآثار ، أكبرها قنطرة « اللهوردى خان » أحدقواد الشاه عباس ، وتسمى اليوم « پل سى وسه چشمه » ، أى القنطرة ذات الثلاث والثلاثين عيناً . وهى مبنية بالحجارة الضخمة ، تسير فوقها طريق واسعة لها جداران عاليان . والنصف الأسفل من عيونها يسد بالخشب إذا أريد حبس الماء ، وعلى جانبى العيون فى قاع النهر سنادان من الحجر يسير عليهما الناس حين انخفاض الماء

ومدينة اصبهان قديمة ذكرها بطليموس . وكانت ذات مكانة عظيمة قبل الأسلام ؛ ولم تزل فى الاسلام معدودة من أمهات المدن الفارسية

وقد تقلبت بها غِيَر كثيرة واهتمت بالسيطرة عليها كل الدول الأسلامية الشرقية ، فتولى أمرها السامانيون والبويهيون والغزنويون والسلاجقة ، وكان السلطان ملكشاه السلجوق يحب المُقام بها . ولما سالت على المسلمين كوارث التتار ، ساروا اليها سنة ٦٢٥ فدفعهم عنها البطل العظيم جلال الدين خوارزمشاه ، ولما كانت الدولة التيمورية ثار أهل أصفهان على الجبار تيمورلنك سنة ٧٩٠ فقتلهم حتى قيل إنه جمع سبعين ألف رأس فبنى بها أهراماً

وأمجد عهود أصبهان عهد الدولة الصفوية ، ولا تزال آثارها ناطقة بما كان لها من جلال وجمال فى ظل هذه الدولة

وقد بلغ سكانها فى ذلك العهد ستمائة ألف ، وكان بها ثمانية وثلاثون ألف دار ، واثنان وستون ومائة جامع ، وثمان وأربعون مدرسة ، وثلاث وسبعون ومائتا حمام ، وثمانمائة وألف خان ، (كاروانسراى) وكان محيطها فيما يقال أربعة وعشرين ميلا

ولما أغار الأفغانيون على إيران وقضوا على الدولة الصفوية ، ثم صارت طهران دار الملك تناقص عمران المدينة ، ودالت دولتها ، وسكانها اليوم ثمانون ألفاً ، ومحيطها ميلان ، ولكن لها شأناً عظيماً فى التجارة والصناعة

دخلنا المدينة ليلاً ، فأوينا إلى فندق اسمه (فندق الفردوس) . وكان يسمى الفندق الأمريكى ، وهو فى شارع واسع مشجر قديم يقال إن أشجاره من عهد الشاه عباس الكبير ، وهو أعظم شوارع المدينة . وجاءنا بعد قليل رئيس البلدية فحيانا وقال إنه يود أن ننزل داراً خاصة فى ضيافة الحكومة ، فشكرنا له وللحكومة هذه الحفاوة ، وآثرنا أن نبقى فى الفندق ، فأبلغنا دعوة الحاكم إيانا الى العشاء فى داره غداً

لم يمكنا الأعياء من التجول فى المدينة تلك الليلة ، ولكن نعمنا بمرأى أشجار الحور الباسقة تنثر على الأرض ضوء القمر ، كما تتناثر فى خيالنا ذكرى الماضى المجيد من هذه البلدة الخالدة ، التى نشأت من علماء الأســلام الأعلام أمثال أبى الفرج الأصفهانى وداود بن على صاحب المذهب الظاهرى ، وأبى نعيم صاحب الحلية ، وحمزة المؤرخ

وكنا نسمع فى الحين بعد الحين جلجلة الأجراس فى أعناق الابل أو الثيران السائرة فى المدينة . وهذا صوت مطرب فى جوف الليل ، ولكنه يذهب بالنوم . وغدونا الى دار الحكومة فقابلنا حاكم أصفهان وهو أحد الوزراء السابقين ، ورجال الصحافة القدماء ، وكان له جريدة تسمى صور اسرافيل فغلب اسمها عليه فهو اليوم يسمى قاسم صور اسرافيل ، ويتسمى هو بهذا الاسم ويكتبه على بطاقته ، وكذلك جاء الى دار الحكومة نفر من الألمان ، منهم الدكتور شميت الصحافى الذى ينشر جريدة فى أنقرة الآن ، وكان مندوباً الى مؤتمر الفردوسى ولكنه تأخر

خرجنا لرؤية آثار اصفهان الرائعة . وإنى أشفق على القارئ أن أصف المساجد والقصور التى رأيناها وصفاً مفصلاً ، فمن شاء أن يرى صور هذه الآثار فليذهب الى الجمعية الجغرافية ليرى قاعة المحاضرات مزدانة بصور كثيرة من الآثار الفارسية ، أعظمها وأجملها آثار اصفهان

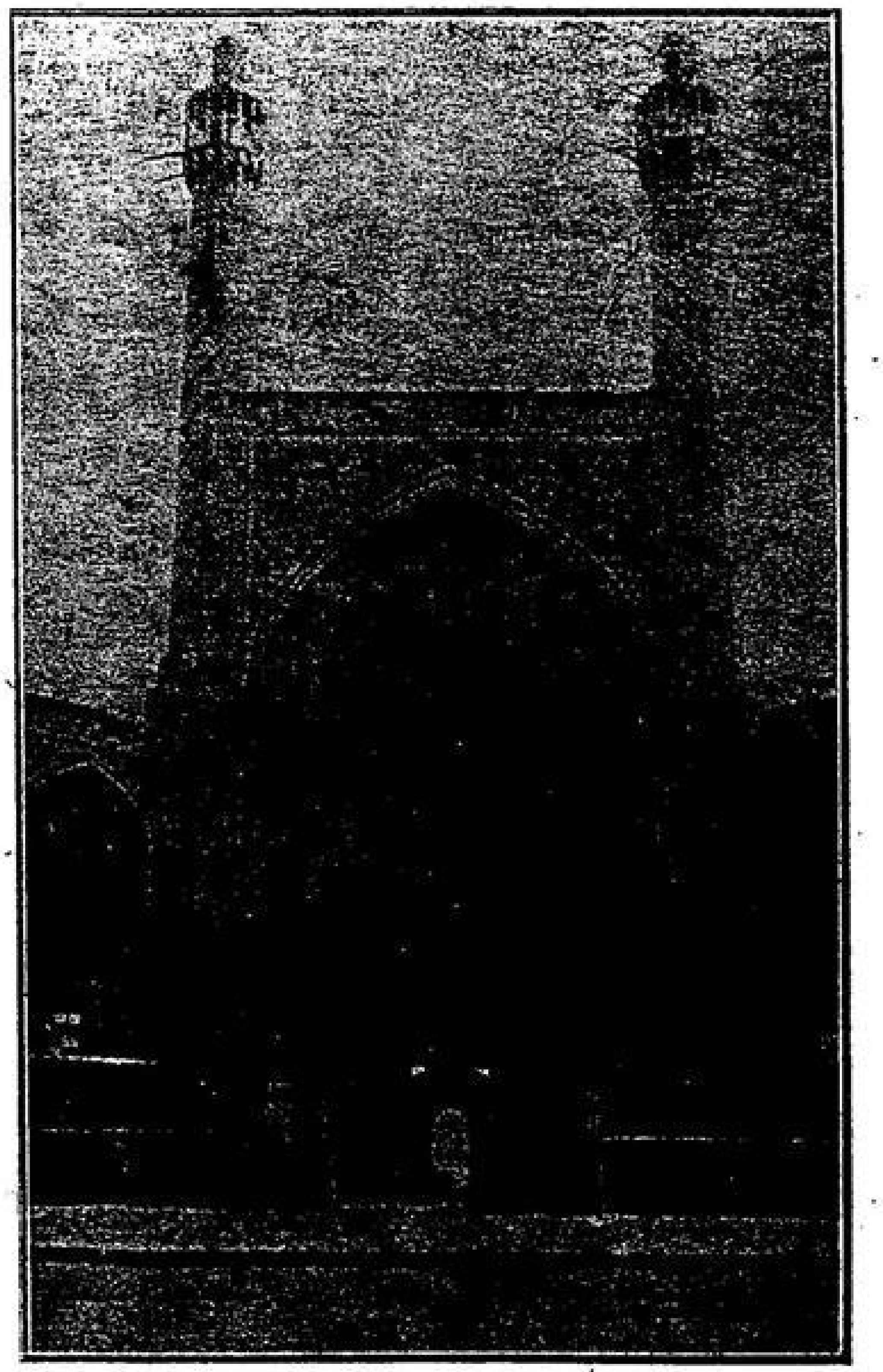
فى المدينة ميدان كبير قال لنا مهندس ألمانى إنه أكبر من ميدان الكنكورد فى باريس ومن كل ميدان فى مدينة

وكان هذا الميدان للعب الكرة والصولجان على ظهور الخيل (الجوكان) ، ولا تزال فيه العمد الخشبية التى تُعلّم غاية الملعب . وفى وسطه حوض كبير تنبجس منه نافورات قوية ؛ وهى من آثار الصفويين ، وقد أصلحت أخيراً

ويحيط بالميدان آثار الصفويين : مسجد الشاه ومسجد

الشاه لطف الله والباب العالى والسوق

مسجد الشاه من أجمل مساجد المسلمين ، بل من أعظم آثار العالم قاطبة ، بناء ضخم وهندسة محكمة ، وصنعة الكاشانى والكتابة والنقش لم تدع مزيداً لصانع أو ناظر . ولا ترى مقدار شبر فى جدر المسجد أو إيواناته أو قبابه خالياً من هذه الصنعة ، فقد أُفرغ الجمال على هذا المسجد كتابة ونقشاً وتلويناً



مدخل جامع الشاه باصبهان

وفوق إيوان القبلة قبة شاهقة تعلوها قبة أخرى ، وبينهما ستة عشر متراً ، فاذا وقف الانسان فى مركز القبة وصفق بيديه صفقة خفيفة ، أو تكلم بصوت خافت ، أو حكّ الأرض برجله انبعث الصدى عالياً مدوّياً مردّداً فى القبة أكثر من عشر مرات

ومسجد الشاه لطف الله أصغر من هذا ، ولكن فيه من الفنون دقائق عجيبة ، وفيه طبقة تحت الأرض للصلاة فى الشتاء

(يتبع) عبد الوهاب عزام

اللهَ قد عبدُوا

للأستاذ فخرى أبو السعود

وَيْلِي عَلَى أُمَمِ الْإِسْلَامِ خاضِعةً ... لِلْمُسْتَبِدِّينَ لَا يَرْثِى لَهَا أَحَدُ

مَنْ قالَ لِى : مَنْ يُقِرُّ الضَّيْمَ ؟ قُلْتُ له : ... أَلْمُسْلِمُونَ وَعَيْرُ الحىِّ وَالوَتِدُ !

فِى مَشْرِقِ الْأَرْضِ قَدْ دَانُوا وَمَغْرِبِهَا ... ما كَادَ يَنْجُو لَهُمْ مِنْ غَاصِبٍ بَلَدُ

فِى رِبْقَةِ الظُّلْمِ هُمْ جاءوا وَهُمْ ذَهَبُوا ... وَفِى الْمَذَلَّةِ قَدْ مَاتُوا وَقَدْ وُلِدُوا

صَلَّوْا وَصَامُوا لِبَارِيهِمْ تُظَلِّلُهُمْ ... أَعْلَامُ مَنْ ظَلَمُوا أَوْ سَيْفُ مَنْ عَنَدُوا

يَا لَيْتَ شِعْرِى أَلِلدَّيَّانِ مَا قَنَتُوا ؟ ... أَمْ لِلْمُغَالِبِ مَا قَامُوا وَمَا سَجَدُوا ؟

يَا قَوْمُ مِنْ شِرْعَةِ الإِسْلَامِ دِينِكُمُ ... أَنْ لَيْسَ يُعْبَدُ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمَدُ !

أَتَرْتَضُونَ سِوَى الرحمنِ مُحْتَكِماً ؟ ... مَا إِنْ لِقَوْمٍ إِذَا مَا اسْتُعْبِدُوا رَشَدُ

أَللهُ لَيْسَ يُحِبُّ الدِّينَ مِنْ أُمَمٍ ... لِغَيْرِهِ طَأْطَأُوا أَوْ غَيْرَهُ عَبَدُوا

لَعَلَّ أَدْنَى إِلَيْهِ فِى مَرَاتِبِهِ ... عَدُوَّكُمْ وَهْوَ مَاضِى الْعَزْمِ مُجْتَهِدُ

أَخْنَى عَلَيْكُمْ بِجُنْدٍ مِنْ عَزَائِمِهِ ... وَمِنْ جَهَالَتِكُمْ جُنْدٌ لَهُ حُشُدُ

لَوْلَا تَفَاقُمُ هٰذَا الْجَهْلِ بَيْنَكُمُ ... لَمْ يُغْنِهِ عَدَدٌ فِيكُمْ وَلَا عُدَدُ

لَا يَبْلُغُ الْعِزَّ قَوْمٌ عَنْ جَهَالَتِهِمْ ... لَا يَنْزِعُونَ وَعَنْ مَسْعَاتِهِمْ قَعَدُوا

إِنَّا نَؤُومُ الضُّحَى لَيْسَتْ تُزَايِلُنَا ... أَحْلَامُنَا وَهْوَ فِى جُنْحِ الدُّجَى سَهِدُ

مَا دَامَ ذَا الْجَهْلُ يَمْشِى بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ... فَفِى قَضِيَّتِكُمْ - لَا يَنْقَضِى - فَنَدُ

قَدْ ذَمَّكُمْ بِالَّذِى فِيكُمْ فَلَا كَذِبٌ ... فَإِنْ غَلَا فَلَهُ مِنْ جَهْلِكُمْ سَنَدُ

كَمْ تَقْنَعُونَ بِدُونِ الْعَيْشِ مَرْتَبَةً ... فِى الْعَالَمِينَ ؟ وَكَمْ ذَا الذُّلُّ مُطَّرِدُ ؟

مَنْ لِى بِعَهْدٍ بِهِ آبَاؤُنَا مَلَكُوا ... بِكَفِّهِمْ كُلَّ مَا حَلُّوا وَمَا عَقَدُوا ؟

لَا يَقْبَلُونَ وَصَاةَ الْأَوْصِيَاءِ وَلَا ... أَحْكَامَ مَنْ أَسْرَفُوا فِى الْحُكْمِ أَوْ قَصَدُوا

أَللهَ قَدْ عَبَدُوا دُونَ الْوَرَى وَلَهُ ... بِذَاكَ فِى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ قَدْ شَهِدُوا

فخرى أبو السعود

الى ممثلة نابغة

من أى وحى تنهلين رشاقة   لمحتْ ظلالَ الخلدِ منها الأنفسُ ؟
وبأى سحر تمسحين مواقفاً   يزهو بروعتها الجمال الأقدس ؟

* * *

روح الطبيعة فى اختلاف فنونها   وروائها لم تحوِ مافى نغمتِكْ
وشتْ مواهبك الكياسة فانثنتْ   آياتُها مختالة فى بَسمتِكْ

* * *

أدركتِ سرّ الفنّ وهو ممنّع   فعَنَا لكِ الابداعُ ، إذ أدركتِهِ
ما الواقع الملموس يعجب باحث   فيه ، سوى تمثيــل ما مثّلتِهِ

عاصمة الأرجنتين   الياس قنصل

ثورة الذكرى

بقلم فريد عين شوكه

ذكرياتٌ مشــبوبة الثوَرَانِ   وحبيب يلجّ فى الهجرانِ
وفؤادٌ طغى الحنين عليه   فوَهَى عزمه من الخفقان
حائر فى الضلوع تفضحه العيـ   ـنُ بمرآة دمعها الحيران
شَدّ ما روّع الفؤاد من الذكـ   ـرَى وماذاق فى الهوى من هوانِ !

* * *

ذكرياتُ الغرام تغمر فكرى   فتثير الغفِىّ من أشجانى
كلما صوّرتْ لىَ الماضِىَ الضا   حِى وريف الظلال عذب المجانى
أردفَتْه بحاضرى مقفر الدّوْ   حةِ مُرّ الجنَى حزين المغانى !
فتثور الهمومُ ، يارحمةَ اللهِ   إذا لجّ فى الهمـوم جَنَانى
ثورة تلْهِبُ الفؤادَ فيغدو   فى ضلوعى كحُمَةِ البركانِ
يتنزّى حتى تضيق به النفْـ   ـسُ فتلقاه بالعتاب الحانى
فيم هذا الحنــينُ يأيها القلْـ   ـبُ الى من غفا على نسيانى
وإلامَ الوفاء والطاعةُ المُثْـ   ـلَى لمن لا يثوب عن عصيانى
فيم تلك الأشعارُ تُضفِى عليه   كلّ ما رقّ فى الهوى من معان
يسكب الغيرُ فوقها دمعة العطْـ   ـفِ ويرثى لما بها من تفانِ
وهو إنْ لاَحَها يمرّ عليها   دون ما رحمةٍ بها أو حنان
قد سئمتُ الهوى عذاباً أليما   وحياةً كئيبة الألوان

و إذا القلبُ بينها واهن الخفْـ   ـقِ غريق فى لُجّةِ الأحزان
يسأل النفسَ للحبيب المعاذِ   ـرَ ويأبى الجنوح للسُّلوان
يا لهذا الفؤادِ ألوى به الحُبُّ   م وما زال دائب التَّحنانِ

* * *

أيها القلبُ قد سَباكَ حبيب   ليس يحنو على الأسير العانى
يتجنّى علىّ رغم فنائى   فيه ، يا لَلجحود والنكران !
كم تمنيتُ عطفَه فتأبّى   وتشهّيتُ وصــله فجفاني
وكأنى إذا مرضتُ وكانت   صَحْوَتى فى مزاره ما أتانى
وكأنى لو متُّ فى ميعة العُمْـ   ـرِ وغيّبْتُ فى الثرى ما بكانى
فاتئدْ فى هواك يأيها القلْـ   ـبُ وخفّفْ من سَوْرة الهيَمان
أو كما شِئْتَ يا عَصِىُّ ولكن   سوف تصلَى لواعج الكتمان
لن ترانى أشكو إليــه خفَايا   كَ ولو ذُبْتَ شكوةً فى لسانى

* * *

لَهْف نفسى عليكَ يأيهــا الما   ضى ويا شوْقَ خاطرى الوَلهان
كم عهودٍ كانت لديكَ غوالٍ   وليالٍ غُرّ الجبين حِسان
جمَعتْنا كما اشتهينا وحيدَيْـ   ـنِ فكانت بليغة الإحسان
وحبَتْنا شراعَها فامتطينا   هُ إلى دوحةِ الهوى الفينانِ
فنعمنا بما به من بَواكِيـ   ـرَ وما فيــه من قُطوف دَوانِ
ورشفنا بورده الطاهر العذْ   بِ كئوساً من الرضى والحنان
وسَمَرْنا فى ربْوَةٍ عَطِر الجوْ   م بأنفاس زهرها الوسنان
نتناجَى والعينُ أمتع فى النجْـ   ـوَى وأوفَى من عبقرىّ البيان
ونغنّى فيستفيق لنا الرّوْ   ضُ كأنّا فى دَوْحِهِ غرْدَان
مصغياً للغناء حتى نؤدّيـ   ـه فيهفو كالطائر النشوان
كم تغنيتُ للحبيبِ بما شا   ءَ ورتّلتُ ما اشتهى من أغان
فإذا هاجَه الحنين فغنّى   فى حياء ورِقّةٍ وافتنان
وسَرَى الصوتُ بين أحشائِىَ الظّمـ   ـأى وأحناء صدرِىَ اللهْفَان
رفّ قلبى له رفيف الأقاحى   ناعماتٍ بالمنهــل الرّيّان
ذاكَ ماضى الهوى فكيف تناسيـ   ـهِ وقد صار بضعة من كيانى

* * *

جَفّ روض الهوى من الثمر الحُلْـ   ـوِ وأضحى مُهلْهَلَ الأفنان
وصحا ظلّه الظليلُ وفرّت   عن أفانينــه طيور الأمانى
فقضيتُ الحياة أرويه دمعى   وأعانى فى ريّه ما أعانى

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٧ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

للأستاذ خليل هنداوى

أما الأنسان فهو عند هيجل الكائن الفرد الذى يتوسط بين الكائنات كيف يشاء، ويُدرك نفسه بنفسه. الأنسان هو روح: روح ذاتية لا تحس إلا بحريتها الخاصة، ولا تعمل إلا على مايضمن لها النصر على ما حولها. وروح اجتماعيـة تحترم حريات الناس وتراعى حقوقهم. وروح مطلقة تسمو على التقاليد المادية، يفنى إزاءها كل شىء من كل شىء تواضع عليـه الناس. روح تعود الى نفسها لتجد فى نفسها « المثال الالـهى » فلا تجده غرضاً تسمى اليه ولـكن تجده حقيقة شاملة أدركتها فيما أدركت . . .

وقد وجد هيجل ثلاث شعب فى العلوم: العلوم النفسية، والعلوم الأدبية، والعلوم الدينية . . . وقد شطر العلوم الدينيـة ثلاثة فروع: الفن، والدين، والفلسفة؛ أما الفن فهو أول تجربة قام بها الروح ليتشبه بالوجود، فالفنان يذهل عن نفسه حين يتأمل فى عمله. والفن – فى الحقيقة – هو يقظة من يقظات الوحى ولمعة من لمعات العبقرية. والدين يفسر معانى الألوهيـة برموز وألغاز. وفى النهاية وجد الأنسان ربه فى نفسه، وهاهنا تسامى الدين الى الفلسفة، وولد الالـه فى روح الأنسان، وتألف العلم المطلق، وبسط به الأنسان سلطته على الـكون، وأدرك به غرضه. هذا هو الفيلسوف الذى يستطيع أن يغلق كتاب الوجود

دام انتصار مدرسة « هيجل » خمسة عشر عاماً، لا تسمع فيها إلا صوت هذه المدرسة التى ملـكت على القوم، وفرَّت من وجهها كل مدرسـة؛ ثم أخذت تهوى عن عرشها لأن العقل المخدَّر آن أن يصحو، فبدا له ما فى هذه الآراء – برغم اشتهار صاحبها بقوة عارضته وقوة منطقه – من تناقض واضطراب. فى عالمه السياسى والالـهى قد ظهر الاختلاف على أشده، وجد « هيجل » فى صاحب الديانة المسيحية شخصية سامية يمازجها روح الالـه. ولـكنه فى فصل آخر يقر بأنه لا يجد فى الدين إلا تعاليم آخذة طريقها الى الفلسـفة، حيث تفنى فى الفلسفة كل عناصر الايمان. وأما آراء « هيجل » فى التاريخ فهى آراء عقلية، يتحدث بها عن عقل الفرد وعقلية الأمم، ويرى تاريخ الحرية هو تاريخ العالم. أما العصر الشرقى فهو عصر الحـكم المطلق، والعصر اليونانى الرومانى هو عصر الحرية الجزئية وعصر الأحزاب والاسر والعبودية، والعصر الجرمانى هو عصر النهضة والبعث والثورة، ويقبل هيجل على العصر الحديث ويذكر أن الدولة هى هيئة من هيئات الفـكر، ولا بد لهذه الهيئة أن تتمثل فى صاحب السلطة والسلطان. وهو لا ينصر مذهب توزيع السلطة خشية أن يثير ذلك الضغائن ويخلق الفتن ويوقع العراك فى الأهواء. وهو يقدم لنا – بعد هذا الحوار الطويل – حكومته البروسية بعد معاهدة (١٨١٥) مثـلاً سامياً للدولة. وهكذا لا يمكن للفيلسوف أن يتجرد من نعرته القومية حتى فى المباحث التى ينبغى لصاحبها أن يكون مجرداً بعيداً عن الهوى

مذهب المثال الكمالى

وأخيراً ماذا ظل راسياً من مدرسة « هيجل » فى الصرح الفلسفى؟ أم ماذا بقى من ذلك الأتجاه العنيف نحو فلسفة « الواحد المطلق » الذى جرى وراءه فيخت وشيلنج وهيجل؟

إن « كانت » فى كتابه نقد العقل المجرد أجاب بأن معارفنا لا تضع لنا جواباً شافياً عن حقائق الأشياء، ولـكنها تقرب لنا صورها بطريق الحواس، وهـذا الوجود لا نراه على حقيقته التى هو عليها، وإنما نراه على الحقيقة التى تبدو لنا منه. وجاء فيخت بعـده فجعل من (الذات) ملجأ للحقيقة كلها. والأشياء الخارجة عن كياننا لا يُكتب لها الظهور إلا فى اللحظة التى تعالجها الذات وتمعن فيها تفكيراً. والأنسان بما أوتى من

وإذا الروضُ هامدٌ ما أفادَتْـ ـهُ شآبيبُ دمعيَ الهتّان
أيها الروضُ إن ما بكَ أوْهى عَزَماتى وهدَّ من بُنيانى
داؤك الهجر والحبيبُ عَصِيٌّ والليالى تُغريه بالحرمان
فاذا ما جَهِدْتُ فى بعثِ ماضيـ ـكَ رمانى الزمان بالخذلان
والزمان العنيدُ إن سدَّد الرَّمْـ ـيَةَ ألْوَى بحيلة الإنسان
يا إلهَ السماء إنى تحطَّمْـ ـتُ وما زلتُ فى ربيع زمانى
وذَوَتْ مهجتى من النَّغَم البا كى فمن لى بأعذب الألحان؟

فريد عين شوكة

عزم وقوة لم يكن يوماً بكائن بسيط يدفع القوى المحدقة به ، ولكنه يريد أن يُسيطر على العالم حتى يتمكن من شعوره بنفسه . ولكن ماذا آلت اليه الطبيعة - في مذهب فيخت - ومعانيها المتدفقة الحساسة ؟ إنها قد صُرعت وتجردت من كل المعاني ، فجاء شيلنج فعمل على مزج الفلسفة بالفن ، وجرّب أن يوحد بين العالم والكائن المفكر . الأنسان والطبيعة يجب أن يتحدا ويكون واسطة اتحادهما العقل المفكر والأحساس بالجمال . . . وهكذا عاد مذهب سبينوزا القائل بأن الله إنما هو كل الكائنات ، عاد هذا المذهب بصورة أوسع أفقاً من صورته الأولى ، يتوسع في الحرية الأنسانية ، وينطوي على فكرة فنية

بلى ، إن مذهب المثال الكمالي الذي دان به الفكر الألماني مصدره المذهب القائل « بأن الاله الواحد إنما هو كل الكائنات » وهذا « هيجل » هو الذي ثبت هذا المذهب بدستوره الذي جاء وليد جهود رفيعة تريد أن تشيد العلم الأنساني ، ثم تبلغ بهذا العلم نفسه منزل الحقيقة السامية . فتطور الحياة العُضوية في الطبيعة ، وتعاقب الأصول البشرية ، وتتابع المدنيات في التاريخ إن هي إلا وجوه متقلبة لأصل واحد . وهذه هي الدائرة التي يجوزها الفكر المطلق عاملاً على تحقيق قوته المبدعة ، وراجياً في النهاية أن يتم تعارفه مع الروح الأنسانية ... الاله لم يكن ... ولكنه عاد ... ووُلد في الأنسان . إن معنى الوجود هو أضعف معنى ؛ وهل معناه إلا أن تبدو لحظة من الزمن على مسرح هذا العالم المتبدل ثم تعود الى أصلك ؟ كل شيء يزول يدل على أن فكرة زواله تمت ، أما حركة الحياة فانها تهمد في معنى مجرد لا تدركها الأنظار

إن فلسفة هيجل حين جعلت من الروح الأنسانية ملجأ كل معرفة ووعاء كل حقيقة ، أصبح المتدين بها يعرف الروح الأنسانية ، ولا يعرف مما حولها شيئاً ؛ هو يزعم أنه يحلل الكون ويعلل حوادثه ويشيد دعائمه بفكره ، ولكنه في الحقيقة لا يتخطى - في ذلك - حدود العالم الصغير الذي يضم الأنسان عليه جوانح صدره

***

لابد لمن أراد أن يلم بتطور الأدب الألماني في منتصف القرن التاسع عشر أن يقع على أسباب تلك السآمة التي تمشت في عروق ذلك الأدب ، ففي غرة هذا القرن اقتحم « نابليون » ألمانيا ، وغلبها على أمرها ؛ فأذعنت أو همدت قليلاً والنار تسطع خلل الرماد ، وهي في الحقيقة لم تنفض عنها أملاً ولم تدفع مأملاً ، والحركة الفكرية التي ولّدها أولئك الفلاسفة تدل على أن مرماها لم تزغ عنه الأبصار ، وأن آثارها لم يطمس عليها طامس ؛ وبعد حبوط تلك الآمال النازعة الى حرية الشعب الألماني ولم شعثه بعد التفرق ، خيم على الجبهة الألمانية شبه سكون لا يتمخض بحياة ! ولكن الأدب لا يموت ، ولكنه يثور ويتحرك في الأقطار المذلّلة حيث ترى أصحابها مدفوعين دفعاً الى الحياة ، والتاريخ وحده ظل دائباً ساعياً وراء الغاية دون أن يقف سيره شيء ، أما صوت الشعر فقد خفت ، والمخيلة نامت الى حين

في هذا العصر وجدت فلسفة « هيجل » مزاحماً جديداً عنيفاً ، هو تشاؤم « شوبنهاور » ومما ساعد على انتشاره قوة بيان صاحبه ، وهيجل كان أسلوبه غير بياني ، فتهافت الناس بعقولهم وقلوبهم على المذهب الجديد

ما قامت فلسفة أذيع وأسير من فلسفة « هيجل » ، فقد كانت تياراً قوياً تقذف بالنفوس الى مسكن « المثل الأعلى » ولكن تأثيرها سرعان ما وهى ، وكان لهيجل أنصار كثيرون أخذوا عنه وحملوا مبادئه الى أقطار أخرى ؛ حتى إذا وافاه أجله ذهب البعض الى مقارنته بالأسكندر الذي غزا أقاليم مجهولة ، وبعضهم ذهب الى تمثيله بصاحب الرسالة المسيحية ، وفكرة «هيجل» هي مذهب التحول المستمر ، والعالم - عنده - هو كالنبتة تنجم دائماً من أصلها ، وتحول في بعض الأحيان براعيم وأزاهير وثمرات . . . . .

وبعد موت « هيجل » انشقت مدرسته وقام منها ثلاث فرق : فريق عكف على تحليل مذهبه وتطبيق فروعه على بعض فروع علمية وأدبية ، وقد هذب هذا الفريق من أسلوب معلمهم حتى أخرجوه من حلقة الخاصة الى متناول العامة ؛ وفريق أراد أن ينزع عن فلسفة «هيجل» كل أثر من مذهب سابق ، وأن يرد كل أصولها الى الدين ؛ والفريق الثالث نظر الى « هيجل » نظرة مستقلة ، ووجد أن الدين المسيحي قد انتهى به ، كما انتهى العصر الوثني اليوناني بأرسطو ، والكلمة التي رددها أحد تلاميذه : « لتكمل إرادة الرجل » تعتبر أول قاعدة في بناء شريعة المستقبل

يتبع

خليل هنداوي

القصص

من الأدب التركي

باقـــة زهر

بقلم الآنسة « فتاة الفرات »

إن لبعض المناظر تأثيراً عميقاً خاصاً فى نفس الانسان لا يشاركه فيــه غيره من المناظر ، ولست أدرى ما الذى يكون من تأثير الحادثة الآتية فى نفسى لو أننى شهدتها فى زمان غير هذا الزمان ، أو فى مكان غير هذا المكان

لقد سحقتنى المدينة بجلبتها وضوضائها ، ففررت بفكرى المجهود وعقلى المكدود إلى قرية قائمة فى وسط صحراء هادئة نائمة لأداوى بسكونها فكرى الثائر . وكنت فى كل يوم ألقى بنفسى فى أطهر ضواحى القرية من أنفاس الناس ، فأستنشق فيها رائحة الطبيعة الجميلة تحت أشعة شمس الربيع التى كانت تسيل بغزارة من بين قطع السحاب ، فتحرك النفوس الجامدة وتثير القلوب الخامدة

كان يمر بتلك القرية نهير رائق ينصب فيه الماء من بين أحضان تلك الجبال الشماء ، فاذا انحدر منها إلى السهول بصوت جذاب يشبه الصوت الذى ينبعث من مجلس من مجالس السرور جرى متغلغلاً بين الأحراج والغابات ، متوارياً عن أشعة الشمس التى ملأت الأرجاء وطفت على الأنحاء ، فاتراً هادئاً حابساً أنفاسه فى صدره ، كأنه فتاة عاشــقة تسير نحو غايتها فى لطف حتى لا يسمع خشخشة ثوبها سامع ، ثم يجتمع شيئاً فشيئاً ويزج بنفسه فى مقبرة تظللها أشجار السرو العاتيــة ، وتنبعث منها روائح الموت القاسية ، فتبعث فى النفس ذكرى الدار الآخرة ، وتوقظ فى القلب عظمة الموت ورهبته ، فاذا تجاوز هذه المقبرة سار فى جريان بطىء فاتر مدفوعاً بقوة لا يمكن مقاومتها ولا يستطاع دفعها ، مبتعداً عن الجبال والأحراج والصحارى حتى يغرق بحرقة الخسران وألم الفقــدان فى بحر لجى لا يسبر غوره ولا يدرك قراره

وكثيراً ما كنت أتبع فى سياحتى مجرى ذلك النهير ، فأسير على ضفته مأخوذ اللب ، موزع الفكر فى أمواجه الضاحكة التى تنيرها أشعة الشمس اللماعة ، وضفافه الحزينة التى تظللها الأشجار الملتفة ، فتنشر عليها بساطاً من الكدر والحزن ، وكم حبست سمعى على زمزمة مياهه اللطيفة تداعب الأحجار القائمة فى طريقها بلطف ، وتلامسها فى غير عنف ، وعلى نقيق ضفادعه تستقبل بوا كير الربيع الضاحك ، وكم غرقت فى هذا وذاك غرقاً لا أخرج منه إلا بعد سفر طويل . هناك فى ذلك المكان رأيتها ، وكان ذلك فى يوم ملول فاتر ، والضباب المعطر النفحات الرطب الذرات يتطاير رويداً رويداً فوق ذرى الجبال . ثم ينتشر فى السهول والقيعان والآكام والوديان فرحاً بالربيع الغض النضير ، باعث الحياة فى الأموات

أما المناظر البديعة التى كانت تمتد بامتداد البصر ، وتسترسل على قدر ما يبلغه النظر ، فقد كانت تؤلف بصورها المتنوعة سلسلة من البدائع ، تتجلى فى طيف الخيال كأنها عالم من العوالم الشعرية المبهمة ، وتظهر فى صورة خيالية لو مرت بها نسمة من النسمات الفاترة لذهبت بها أباديد

إن فى سكون الصحراء العميق نفساً عميقاً لا يكون إلا فى سكون الصحراء ، إنه سكون حى قوى الحياة ، لو نظرت اليــه بدقة وإمعان لخيل اليك بقوته أن الطبيعة تتنفس كما يتنفس كل ذى روح

لقد طفت كثيراً فى النواحى أمتع النفس بالنظر إلى الضباب القاتم يطير بين تلك الجبال كأنه الدخان ، وإلى الزهرات الناضرة سقطت عليها حبات الندى فارتجفت تحتها ومالت أعناقها لثقلها ،

وأصغى إلى الأطيار على الأشجار تتغنى فى هدوء بأصوات مملوءة بنشوة الطرب وسكرة النشاط ، وبلغت من ذلك كله ما أريد

لقد أحييت فى نفسى تلك الحال الجذابة ، وتلك المناظر الخلابة ، وتلك النزهة الواسعة الأطراف ، المترامية الأكناف ، روحاً جديداً ، وأثارت رغبة كامنة ، فكنت أقف أثناءها وقفات تسكن فيها الحواس ، ويذهب الفكر إلى أبعد مداه ، لقد كنت مأخوذاً أمام تلك الطبيعة التى تغرق الفكر ، وتشتت اللب ، حتى يكون التفكير ذهولاً ، لقد كنت مأخوذاً بسبب ذلك الشعور الأخاذ الذى يفوق كل شعور حتى يجعل من الانسان الحساس جماداً لا يتحرك ولا يحس

لست أدرى لماذا أبحث عن هـــذه الأشياء ولماذا أتكلم عنها ؟ وليس لها من صلة بالحادثة التى أثارت أحزانى وحركت كوامن أشجانى وحرمتنى حتى من نفسى أياماً طوالاً ، أجل لا أدرى ، ولكنى أريد أن أقول إنى رأيت فصول تلك الرواية المحزنة وأنا أشد ما أكون تأثراً بهذه المناظر وخضوعاً لها ، فزادت رؤيتها تأثرى حتى وصلت آثارها إلى أعمق نقطة فى نفسى

سمعت ذات يوم من تلك الأيام التى قضيتها فى تلك القرية وقع أقدام يكاد يخفى على الأذن لضعفه ، فالتفت فعلقت عيناى بفتى وفتاة قلما علقت عين بمثلهما جمال خَلْقٍ ولطف خُلُقٍ ، لا يتجاوز أكبرهما وهو الفتى ، الثانية عشرة من عمره ، ولا تقل الفتاة عنه إلا عاماً أو عامين ، كانت الفتاة وهى الصغرى حزينة حزناً يظهر فى وجهها الشاحب ، فهى تبكى بلا عبرات وتئن بلا حسرات ، أما الفتى فكان على عكس حالها يطفح نشاطاً ويفيض سروراً ، مع أن على وجهه سحابة . . . . لا أدرى ماذا أسميها ؟ ولا أدرى كيف أعبر عنها ؟ هى كالتى ترى على بعض الوجوه التى رشقها الموت بسهم من سهامه فى بعض من يعز عليها ، فطبعها بطابع أغبر قاتم يدل على مافى الجنان من هموم وأحزان ، فلما رأيتهما على ما وصفت ، شعرت بألم فى أعماق نفسى ذهب بكل ما فيها من نشوة وطرب

كانا يمشيان رويداً رويداً ؛ فالفتاة مستغرقة فى أفكارها ، مسترسلة إلى أحزانها ، وأما الفتى فقد كان يبتسم ابتسامة عذبة كأنه ثمل من خمرة الربيع الجديدة

علقت عينى بهما حتى ما كنت أستطيع أن أحولها عنهما ، كأن دافعاً خفياً يدفعنى إلى ذلك ويفرضه على فرضاً . حاذيانى ، وتجاوزانى ، ولعلهما لم يشعرا بمكانى ، أحدهما مشغول عنى بأفراحه ، والآخر مأخوذ بأتراحه

وبينا أنا فى ذهولى العميق إذا بقائل يقول :

ـ فيماذا تفكر ؟

كان المتكلم طبيباً من أصدقائى يتبع الطفلين ، لا أذكر ماذا أجبته على سؤاله ، ولكنى أدركت بعد أن مر الطفلان من أمامى أن ضحية ثمينة قد مرت بى

صادفت الطبيب فى اليوم الثانى منفرداً فقلت له :

ـ من هذان الطفلان اللذان كنت تتبعهما أمس ؟

فأجابنى وهو يلوى شفته :

ـ هما شقيقان

قلت :

ـ ومريضان ؟

فقال :

ـ « أحدهما فقط والثانى لا حق به عما قريب ولابد ، لأن مرض الثانى لا يظهر إلا بعد أن يتلاشى المريض الأول ، إن الفتى لن يحتمل هذا المرض أكثر من شهر آخر ، وإذ ذاك فلا بد من معاينة الفتاة »

ثم استمر قائلاً :

ـ « لعلك قد لاحظت أن الفتاة تعلو وجهها سحابة حزن

كثيفة وأن طورها طور مكتئب شديد الكآبة ، فهل عرفت منشأ ذلك ؟ منشؤه الخوف ، إن الفتاة لا تفقه من أمر هذا المرض الذى نزل بأخيها شيئاً ، وأنى لها أن تفقه ذلك وهى لا تزال طفلة ؟ ولكنها مع هذا تعلم يقيناً أن أخاها معرض لخطر شديد محدق به ، إنها تسمع كل يوم من أفواه الناس هذه الكلمات فترسخ فى قلبها الصغير وتترك فيه أثراً من الخوف :

كيف حاله اليوم ؟ هل عاودته النوبة ؟ كم درجة حرارته اليوم ؟

وهى فى كل يوم أيضاً تسمع من أمها هذه النصيحة مئات من المرات :

اجلسى يافتاتى بجانب أخيك ، لاطفيه ، لاعبيه ، لا تؤلميه ، إن أخاك لا يحتمل ذلك

إن هذه الجمل والعبارات تطرق مسمعها كل يوم مرات عديدة فتترك فى قلبها الحساس أثراً عميقاً كله خوف ووجل ، ومع ذلك فكثيراً ما رأت والديها وهما يمسحان دموعهما خفية ، وكثيراً ما رأتهما بعد أن يخرجا من غرفة أخيها المريض يحتضنانها ويقبلانها قبلات حارة ، ثم تضمها أمها اليها بحرارة كأنها تود المحافظة عليها من عدو يريد اختطافها بعد أن نفضت يدها من أخيها ، فهى لذلك تشعر من سويداء قلبها الصغير بخوف ووجل لا تفقه منشؤها ولا تعرف مأتاها ، وهى لذلك حزينة كئيبة . وأما المريض الحقيقى فانه طروب فرح مملوء نشاطاً ومرحاً ، لقد كان حتى الآن محبوساً فى البيت ، محروماً من التمتع بالطبيعة ، فلما أطلق سراحه عاد دمه إلى الغليان بأشعة شمس الربيع المزدهر ، وهذه دورة من دورات السل مخيفة ، لأن المريض فيها يظن نفسه قد شفى من المرض ، مع أن ذلك النشاط هو القوة الباهرة التى تعترى الذين يقفون على أبواب الموت ، وهو آخر مظهر تظهره الحياة وتنفق فيه أقصى ماعندها من جهد ، وإذ ذاك نقول لأهل المريض خذوه إلى النزه . . . دعوه يلعب فى الشمس ويرتع فى الهواء الطلق . . . فهذه الكلمات تعلن للأهل بلطف أنه لم يبق من حاجة إلى الدواء بعد أن وقع اليأس من الشفاء ، فهاهم الآن يرسلونه ليلعب فى الهواء الطلق كل يوم ، وليأخذ قسطه من مرح الطبيعة ، ولينال حظه من حرارة الشمس الساطعة ليمتع نفسه بما قضى عليه أن يحرم منه قريباً »

* * *

جلست اليوم كعادتى عند النهر أفكر ، فكانت أفكارى كلها متجهة نحو هذين الطفلين ! لقد كانا محور تخيلاتى وتأملاتى فى هذا اليوم ، فلا أرى سواهما ، ولا يمر ببالى شئ غيرهما

* * *

أصبحت أرى الطفلين كل يوم ، وكنت إذا وقع نظرى عليهما علق بهما حتى لا يكاد يتحول عنهما ، وكأنى كنت أشعر أن صوتاً داخلياً يهتف بى قائلاً :

ـ تأمل هذين الوجهين المحاطين بالشعر الأشقر إحاطة الهالة بالقمر ، إنك سترى تلك الطفولة الغضة قد جمدت ويبست فيهما كما تجف الزهرة قبل أن تتفتح عنها أكمامها ، وسترى على شفاههما الذابلة ذبول الزهرة لفحتها السمائم ، رعشة تشبه رعشة المحتضر

أما تلك العيون الحزينة فقد كانت فى ذلك الربيع الضاحك مدفناً لجميع الآلام ، أسفاً على ربيع حياة عصفت به يد الخريف وتودع كل آمالها فى الحياة مع شدة حرصها عليها ، تودعها بشعر حزين بالٍ تنظمه نظراتهما الحائرة ، وترجمه أنفاسهما الفاترة .

كان ذانك الطفلان : الصغير والكبير : الفتاة التى لم ينزل بها المرض بعد ، والفتى الذى برح به الداء ، يمشيان جنباً إلى جنب ، وقد أخذ كل منهما بيد الآخر ، مشية الحزين الذاهل

* * *

رأيت الفتاة فى أحد الأيام وهى مكبة باهتمام على أخيها

تزرر معطفه خوفاً عليه من البرد ، فقلت فى نفسى ما أشقاكما أيها الطفلان . . .

* * *

كان الفتى فى آخر مرة رأيته فيها مصبوغ الوجنتين بحمرة هى حمرة السقم لا حمرة العافية ، وفى تلك المرة سمعت أخته تقول له بصوت حزين :

ـ لقد أسرفت فى الركض يا أخى فأخذك العرق وهاهو السعال يعاودك ويأخذ بخناقك

ويجيبها الفتى وهو يبتسم لها ابتسامة عذبة ويحاول أن يحبس سعاله :

ـ نعم لقد أسرفت فى الركض كثيراً ، ولن أعود

خرجت الى النزهة بعد أيام وأخذت أجمع ما راق عيني وأحبته نفسى من الأزهار الجميلة التى أتحفتنا بها الطبيعة لتجلبنا اليها ، فجمعت باقة جميلة فيها من كل لون حسن ، ومن كل رائحة لطيفة ، ثم رأيت زهرة زرقاء اللون ، قد نبتت على حائط المقبرة بين الأحجار ، فمددت يدى لأقطفها ، فاذا بيد قد وضعت على كتفى ، فالتفت فاذا صديقى الطبيب ، فقلت له :

ـ أهذا أنت ؟

ـ نعم فالى أين تريد ؟

ـ لست أريد مكاناً معيناً ، إنما أنا فى نزهة أداوى بها نفسى ولا أدرى متى يكون الشفاء ؟

ثم ذكرت الطفل المريض ، فقلت له :

ـ ما شأن مريضك اليوم ؟

فأخذ الطبيب بيدى وسار أمامى حتى وقف على باب المقبرة وأشار بيده قائلاً :

ـ ها هو ذا . . . .

نظرت بحيرة ، فاذا الطبيب يرينى قبراً جديداً ثم أضاف قائلا :

ـ ما كنت مخطئاً فى ظنى . إن الفتى قد قضى نحبه منذ يومين ، وقد دعيت الآن لمعالجة الفتاة ، وها أنا ذاهب اليها

ابتعد الطبيب عني ، ووقفت فى مكانى كالصنم لا أتحرك ، إن هذا القبر الجديد تحت سماء الربيع الصافية المملوءة بالحياة والنشاط يدل على معنى مؤلم ، فنظرت طويلاً واستعبرت كثيراً ، فكأن صوتاً من داخل القبر يقول :

ـ انظروا متأملين الى هذه الأنوار التى تفيض من السماء فيضاً ! والى الحياة تسح من أجواف الربيع المزدهر سحاً ، ولكني محروم من هذا وذاك . . . آه افتحوا قبرى ! افتحوه . . . لأشاهد أنوار السماء وأضواءها ، ولأبصر فوران الحياة وغليانها

* * *

بحركة لم أتعمدها ، ولم أقصد اليها ، ألقيت من يدى تلك الباقة من الزهر ، على ذلك القبر ، الذى كانت تشرق عليه شمس مايو الحارة ، وفررت من ذلك المكان لا ألوى على شيء ، وبقيت بعد ذلك الموقف سنين عدة مشتت الفكر ، مشرد اللب ، أنشد نفسى فلا أعثر عليها ، ولا يرشدنى مرشد اليها

حلب **فتاة الفرات**

من روائع الشرق والغرب

محمد إقبـــال

من كتاب « رموز بيخودى »

ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام

ختم شاعر الاسلام الأكبر محمد إقبال كتابه « رموز بيخودى » بتفسير سورة الاخلاص ، وجعل كل آية من السورة عنوان فصل من الشعر ، فنظم ثمانية عشر ومائة بيت تبين عما تمكن فى نفسه من المعانى الاسلامية الجليلة

وفيما يلى ترجمة منثورة للأبيات التى كتبها تحت عنوان :

ولم يكن له كفواً أحد

ما المسلم الذى تحقر الدنيا عيناه ؟ ما هذا القلب الذى وضع فى الحق مُناه ؟ زهرة من الشقائق ، فى ذروة جبل شاهق ، ضحكت للشمس والقمر ، ولم تر جانىَ الزَهَر . ونفخت فى حمرتها النار ، أنفاسُ الأسحار . تظل تحضنها السماء ، تحسبها كوكباً تخلّف فى الفضاء . وتقبلها أشعة الشمس الأولى ، ويغسل غبار النوم من عينها الندى

اشدد « بلم يكن »(١) عقداً ، لتكون بين الأقوام فرداً . إن الواحد الذى تنزه عن الشريك ، يأبى عبده أن يكون ذا شريك . وإن المؤمن وهو فى الذروة العُليا ، تأبى غيرتُه أن يسامى ، «لاتحزنوا» وشاح على صدره ، «وأنتم الأعلون» تاج على رأسه(٢) يحمل عبء العالمين لايضجر ، ويطوى صدرُه البحر والبرّ ، قد ألقى أذنه الى قصف الرعود ، فان يخر البرق تلقاه بمنكب مشدود ، سيف على الباطل ، وللحق مجنّ لايكسر ، وأمره ونهيه معيار الخير والشر ، مائة شعلة مقمرة فى عقدة من شرره ، وتنال الحياة كمالها من جوهره . ليس فى هذا العالم ذى الضوضاء نغمة إلا تكبيره فى الأرجاء . عظيم العدل والعفو والجود والاحسان ، كريم السجايا على نوب الزمان ، هو فى المجامع برد وسلام ، وفى الهيجاء نار تذيب الحسام . وهو فى البستان مجىّ العنادل ، وفى الصحراء باز صائل . لم يرض قلبه تحت السماء قراراً ، فاتخذ على الأفلاك داراً . طائر ينقر نجوم السماء ، ويحلق وراء القبة الزرقاء

إنك لم تمد جناحا للطيران ، فلبثت دودة فى الرغام ، قد أذلك هجرك القرآن ، فأغرقت فى شكوى الزمان ، أيها الساقط كالندى على التراب ، وفى يده من الحياة كتاب ، حتام تتخذ فى الثرى مجالك ، هلم فألق على الثريا رحالك

عبد الوهاب عزام

(١) اشارة الى الآية : ولم يكن له كفواً أحد

(٢) اشارة الى الآية : ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين

وداع

للورد بيرون

ترجمة الأستاذ محمود الخفيف

شد ما يبهجنى أنك سعيدة ، ولذا أحس أنه ينبغى أن أكون سعيداً مثلك ، فان قلبى ما يزال يرجو لك الهناءة فى حماسة كما تعود من قبل

وهذا زوجك ! متعه الله بما يحب ، وحفظك قرة عين له ، لشد ما يمترينى الحزن ويباغتنى الهم حينما أفكر فيما وفق اليه من حظ عظيم . . . ولكن لأفرغ من هذا ولأنسه . آه كم كنت أمقته لو لم يكن يهبك مثل هذا الحب !

عند ما لقيت أخيراً طفلك الحبيب . أحسست كأن قلبى وقد ملأته الغيرة يريد أن يتحطم ، ولكننى حينما ابتسم هذا الطفل الغرير ، طبعت قبلة على جبينه ، وفعلت ذلك من أجل أمه

قبلت طفلك وأنا أكتم تنهداتى وأحبس زفراتى ، إذ رأيت فى وجهه وجه أبيه ، ولكننى لم ألبث أن لمحت فى مقلتيه عينى أمه . . . وكانتا من قبل مأوى للحب وملكاً لى

وداعاً ياحبيبتى العزيزة ! لابد لى من الرحيل ، وما دمت أنت سعيدة فليس هناك ما يكربنى ، أما أن أبقى إلى جوارك فذلك

ما لا أستطيعه ، إذ سرعان ما يعود قلبي طوع يديك

لقد طالما ظننت أن الزمن فى دورانه ، وأن ما فطرت عليه نفسى من فخار وكبرياء ، كفيل أن يخمد فى قلبى تلك الشعلة الثائرة ، شعلة الحب أو شعلة الطفولة ، ولكننى لم أتبين حتى جلست الى جانبك . . . إن قلبى لم يزل فى كل شىء هو هو . . . إلا من جهة واحدة . . . هى الأمل !

غير أننى على الرغم من ذلك جلست هادئاً بين يديك ، نعم إنى لم أنس تلك اللحظات التى كان يثب فيها قلبى بين ضلوعى عند لمحة من عينيك ! أما الآن فالرعدة جزعة ، ولذلك التقينا فلم ينبض فينا عرق .

لقد رأيتك تحدقين فى وجهى ، ولكنك لم تجدى فيه أى اضطراب ، نعم لم تتبينى فى ملامحى سوى معنى واحد ، هو ذلك السكون العنيد ، سكون اليأس . . . إليك عنى . . . إليك عنى يا أحلام الطفولة . آه ! من لى بجرعة من ذلك النهر الذى جاءت به الأساطير ، من لى بجرعة من « الليثيه » ! وأنت أيها القلب الأحمق ، إما أن تقر وتهدأ ، وإلا فلتتصدع جزاء بما جنيت

الخفيف

القمر فى الخريف

للشاعر كولردج

أناجيك فى علياء سمائك أيها القمر الوضىء ، يامن يشع منك هذا الزهو الوديع فيملأ جوانب الليلة المدثرة بنشتيت الرقيع . إيه يا من تلد الأطياف الساحرة التى تملأ القلب ، ولا تفتأ توحى اليه فى نشاط وقوة

إنى لأرقب فى غبطة سيرك الهادىء ، خلال ذلك النور المترقرق كأنه الماء فى لونه وأراك حينا تختلج عينك الفاترة وراء ذلك القناع الذى يشبه القزاء المظلم ، وحينا يتوارى وجهك الشاحب خلف ما تجمع من سواد فى هذا الفضاء العلوى ، وحينا تطل من السحب مزقتها الرياح ، فينبعث ضوؤك الزاهر فى السماء الصاحية

آه . مثلك أيها القمر يكون الأمل ! نعم فهو صنوك فى جماله وفى اضطرابه . فتارة يلوح غامضاً مبهماً فى تيار الفكر ، وطوراً يختفى وراء ذلك الطيف المزعج ذى الأجنحة الشبيهة بأجنحة التنين ، طيف اليأس البغيض ، ثم لا يلبث أن يظهر فى وهجه وقوته ، فيبدد بنوره الساطع تلك السحب المركومة التى عقدها الهم ، ويسبح كما يسبح الشهاب الثاقب ، تزيده السرعة وهجاً واشتعالاً

محمود الخفيف

نزهات بين الصخور

Promenades dans les rochers

لفيكتور هوجو

النزهة الأولى

فوّارةٌ من الزَّبَد وَسْطَ الخليج تميدْ
تَكَوَّنها أقاعٍ خفيّةٌ وعُمقُها بعيدْ
تتأرجحُ بوادعةٍ بين الأمواجِ الباسمة
كمَرْكزٍ تُلْجِئُ لدائرةٍ قائمة . . .

إلهى ماذا تفعلُ بقارورةِ الثلجِ هذهِ ؟
تُدْخِلُ فيها الفجرَ فيخرجُ الليلُ بظلامِه ،
وعبثاً يُخمِدُها البحرُ بموجِهِ المحيطِ بهِ ،
والزوابعُ بزئيرها ، والسحابُ بضبابهِ ،
يمرُّ الأعصارُ وهزيمة والأمواجُ وأكدارها
ولكن هل تُضعفُ الفوارةُ ثقةَ الصياد بها ؟
كلا . فما تلبثُ أن تظهرَ وَسْطَ ذاك الجحيمْ
حيث يتغيرُ كلُّ شىءٍ بمكانها وثلجها القديمْ

يقولُ الصيادُ : هنا توجدُ مَوْجةٌ مُقدّسة ،
يأتى لها كلُّ طفلٍ يموتُ ليلةَ العيد
يُنظفُ بثلجها جناحهُ من أهواءِ الحياة الدنسة
قبلَ الذهابِ إلى السماءِ ملاكٌ فى مكانهِ البعيدْ

وأقولُ : أدامَ اللهُ للسيفِ بياضَه الناصعْ
برغمِ ما حوله من بحرٍ وصخرٍ قاتمْ
ليُصوِّرَ بصدرِ الطبيعة ثباتَ الحقِّ القائمْ
وسطَ الدَّنسِ والخيانةِ بنقائهِ الرائعْ

محمد وصفى

البريد الأدبي

الأكاديمية الفرنسية لمناسبة عيدها الثلثمائة

فى شهر يناير الماضى بلغت الأكاديمية الفرنسية ثلثمائة عام من عمرها، وهى تتأهب للاحتفاء بهذه الذكرى؛ وهى ذكرى نادرة فى تاريخ الجمعيات العلمية، إذ قلما تبلغ الجمعيات العلمية مثل هذا العمر المديد، قوية مزدهرة، تغالب دائماً أعاصير السياسة والأهواء المختلفة، وقد بدأت الأكاديمية الفرنسية حياتها متواضعة جداً؛ ويمكن أن نرجع فكرة قيامها إلى سنة ١٦٢٩ فى عهد لويس الثالث عشر، ففى ذلك العام اتفق السيد ڤالنتان كونراد سكرتير الملك مع بضعة من أصدقائه الشعراء والأدباء على الاجتماع معاً فى جلسات دورية منتظمة يتجاذبون فيها الأحاديث الأدبية، ويتحدثون عن الشئون والأخبار والكتب، وكانت هذه الاجتماعات سرية خاصة فى المبدأ، واستمرت كذلك زهاء خمسة أعوام؛ وفى أوائل سنة ١٦٣٤ وقف الكردينال ريشيليو وزير لويس الثالث عشر على خبر هذه الجماعة الأدبية من أحد أعضائها فجالت فى الحال فى ذهنه فكرة «الأكاديمية» الرسمية. ولم يكن أحد من الجماعة المتواضعة يفكر يومئذ فى مثل هذا المشروع؛ وكانت فكرة ريشيليو أن ينظم الجماعة وأن يخضعها لاشراف السلطات الرسمية؛ فدعاها إلى أن تؤلف هيئة منظمة وأن تجتمع بانتظام تحت رعاية سلطة رسمية، وذلك مقابل تعهدها بالحماية وإعطائها سلطة محترمة. فترددت الجماعة فى القبول بادئ بدء خشية على استقلالها، واستمر هذا التردد طوال سنة ١٦٣٤، ثم انتهت بالقبول؛ وفى ٢٩ يناير سنة ١٦٣٥ صدرت الأوامر الرسمية بتشكيل الأكاديمية الفرنسية، وبذلك تكون فى ٢٩ يناير الماضى قد قطعت ثلاثة قرون كاملة من حياتها الرسمية

وعلى أثر ذلك وضعت الأكاديمية لنفسها لائحة خاصة تتألف من خمسين مادة؛ وقبل الكردينال أن يضعها تحت رعايته، وصادق على هذه اللائحة فى ٢٢ فبراير؛ من نفس العام؛ ثم اتخذت بعد ذلك الاجراءات لمصادقة البرلمان على وجودها، وصدرت هذه المصادقة فى يوليه سنة ١٦٣٧، وتمت بذلك جميع الاجراءات الرسمية والدستورية التى تجعلها هيئة رسمية عامة؛ وعنى البرلمان عناية خاصة بأن يحدد مهمة هذه الهيئة الوليدة خشية أن تنافسه فى شئ من مهامه أو سلطانه فى المستقبل، فعزف مهمتها بأنها تعمل على: «تنميق اللغة وتحسينها وتوسيعها»، وأنها لا تشتغل بأمور أخرى

ومنذ ثلاثة قرون تضطلع الأكاديمية بأعظم دور فى الحياة الأدبية الفرنسية، وينمو نفوذها وأهميتها، حتى غدا الظفر بعضويتها أسمى ما يتشرف به كاتب أو شاعر؛ وقد استمرت الأكاديمية تقاوم كل ما يضطرم حولها من أعاصير الثورات السياسية والاجتماعية؛ ولم تنلها الثورة الفرنسية الكبرى التى اجتاحت كل النظم والهيئات القديمة بأذى؛ وأعضاء الأكاديمية الفرنسية أربعون لا يزيدون، ويطلق عليهم اسم «الخالدين»؛ وإذا توفى أحدهم، رشح لكرسيه من أعلام الكتاب والمفكرين من يجدر ترشيحه؛ ويقع اختيار العضوية بالانتخاب. ونستطيع أن نذكر من بين أعضاء الأكاديمية الحاليين پول بورچيه، وهو أقدمهم جميعاً إذ دخل الأكاديمية منذ سنة ١٨٩٦، والشاعر پول ڤاليرى، ولوى مادلان، وإيميل ديرمان، وهنرى رنييه، ومارسل بريڤو، وجورج جوايو، ولوى برتران، وبيير بنوا وهو أصغر الأعضاء سناً، وموريس دوناى، والمؤرخ دى نولهاك، والمؤرخ لى نوتر، والدوق دى بروجلى وهو أحدث الأعضاء إذ دخل الأكاديمية فى الشهر الماضى فقط

وتشتغل الأكاديمية منذ أعوام بوضع قاموس رسمى للغة الفرنسية، وذلك تحقيقاً لمهمتها التاريخية وهى العمل على تحسين اللغة الفرنسية وتجميلها، وسيكون هذا القاموس متى تم وضعه مرجعاً رسمياً لألفاظ اللغة ومعانيها؛ وسيكون له فى تطور اللغة الفرنسية أعظم الآثار

حول رواية نهر الجنون

صديق العزيز الأستاذ الزيات :

قرأت فى العدد الأخير من مجلة « الرسالة » الغراء كلمة لأديب فاضل عن فكرة « نهر الجنون » وتماثلها مع فكرة قطعة نثرية لجبران خليل جبران . وقد حار الأديب فى علة هذا التشابه ، وافترض بعض الفروض ، وعقبت « الرسالة » كذلك بفرض قريب من الحقيقة . ورداً على كل ذلك أقول إنى سمعت هذه القصة لأول مرة منذ نيف وعشرين سنة ، وقد وجدتها شائعة على الألسنة كغيرها من الأساطير . ولاريب عندى أن جبران خليل جبران لم يخترع هذه القصة اختراعاً ، وإنما دونها كما سمعها من الناس . ومثل هذه الأساطير ما ابتدعها كاتب ، وإنما نبتت من قديم الزمان بين الشعوب والأجناس كأكثر النوادر والحكم والأمثال . وإنى لم أكن أعلم قط قبل اطلاعى على عدد الرسالة الأخير أن أحداً من الكتاب أو الشعراء قد تناول من قبل هذه الأسطورة ، ولم يصل إلىّ خبرها عن طريق شئ مكتوب ، وإنما عن طريق أفواه الناس

وتقبل أطيب تحيات المخلص

توفيق الحكيم

الترشيح لجائزة نوبل للسلام

تحدثت بعض الصحف الألمانية أخيراً عن الترشيح لجائزة نوبل عن السلام ، ومعروف أن هذه الجائزة يمنحها معهد نوبل فى كل عام للرجل الذى قام بأعظم الخدمات فى سبيل السلام العالمى سواء كان من رجال السياسة أو القلم ؛ وقد أعطيت هذه الجائزة فى العام الماضى لاثنين من الانكليز هما السير نورمان أنجل الكاتب والصحفى الذى اشتهر بكتبه ومقالاته ضد الحرب وفى سبيل السلام ، ومستر ارثر هندرسون رئيس مؤتمر نزع السلاح . والآن تتساءل بعض الصحف الألمانية لماذا لا يرشح معهد نوبل الهير هتلر رئيس الدولة الألمانية لنيل جائزة السلام ؟ وتقول إن أحداً من رجال الحرب أو السياسة أو القلم لم يخدم قضية السلام فى العامين الأخيرين قدر ما خدمها هتلر ، فهو يتجه بجميع جهوده الداخلية والخارجية إلى توطيد دعائم السلم ، وحديث الصحف الألمانية فى ذلك طريف فى غرابته وتناقضه ؛ فلم ينس إنسان بعد كيف قام النظام الهتلرى فى ألمانيا ، ولا كيف يستند فى بقائه إلى أشنع وسائل الضغط والعنف ، ولم ينس إنسان بعد تلك الدماء التى سالت فى ألمانيا غزيرة فى ٣٠ يونية الماضى دون أى وازع أو محاكمة بحجة التآمر على هتلر ، ولا يستطيع أحد أن ينسى أن النظام الهتلرى يقوم من أساسه على صيحة الحرب وعلى المبادئ العسكرية والأحقاد الجنسية المغرقة ، ولكن الصحافة الألمانية التى أصبحت أداة مستعبدة فى يد وزارة الدعوة لا تتحرج عن التحدث عن السلام ودعاته على هذا النحو الغريب

كتاب طريف عن نابليون

صدر بالفرنسية كتاب جديد عن نابليون بونابارت ، ولكنه كتاب من نوع خاص وعنوانه : « بؤس نابليون » ومؤلفه لورنزى دى برادى ؛ وهو كاتب كورسيكى الأصل ، يهدى كتابه إلى جميع الكورسيكيين حتى لا ينسوا أن نابليون يمت اليهم بصلة الجنس ، وطرافة هذا المؤلف ترجع إلى أنه يصور لنا أى بؤس كان يعانيه ذلك الأمبراطور العظيم منذ نشأته حتى وفاته ؛ فهو قد بدأ الحياة ضابطاً بائساً يعانى أمر ضروب الفقر بعد أن طرد من وطنه الأصلى ؛ ولما وصل إلى قمة المجد وبسط سيادته على أوربا ، كان يبدو فى ثوب من السعادة والهناء ، ولكنه كان أبعد الناس عن التمتع بوفاء أصحابه ، وكان صحبه أشد الناس خيانة له وتوثباً إلى الغدر به . ويقول لنا دى برادى إنه أراد أن يصور كل ضروب الشقاء التى عاناها نابليون ، وأن يوضحها بأقوال ذلك الذى عاناها ؛ وأنه متى شرحت هذه الآلام استطاع القارئ أن يفهم الروح النابوليونية حق الفهم ، وأن يتتبعها خلال تلك الحياة الشقية التى ارتضاها الأمبراطور فى فلسفة واستكانة وتسليم

وفاة علامة نمسوى

من أنباء ڤينا أن العلامة الرياضى الشهير الأستاذ الدكتور جوستاف ايشريخ قد توفى فى السادسة والثمانين من عمره ، وقد بدأ الأستاذ ايشريخ حياته العامة مدرساً للرياضة فى جامعة جراتز منذ سنة ١٨٧٤ ؛ ولم يلبث أن ظهر ببراعته ومباحثه المبتكرة ؛ وفى سنة ١٨٨٤ عين أستاذاً للرياضيات بجامعة ڤينا ، وهو الكرسى الذى شغله مدى خمسين عاماً حتى وفاته . وقد نشر عدة مؤلفات رياضية هامة أشهرها مباحثه عن « التبلور » وتوجت مباحثه غير مرة من أكاديمية العلوم ؛ وبوفاته يخسر العلم النمسوى أحد أقطابه وأركانه من العهد القديم